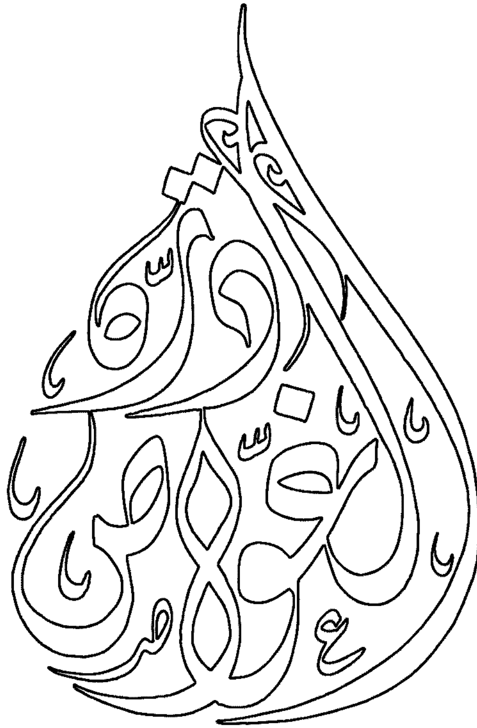
دِيوَانُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

حَقَّقَهُ وَشَرَحَهُ
مُحَمَّد شَفِيق البَيْطَار



شراع
للدراسات والنشر والتوزيع


درة الغواص

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الأخ الودود أبي عمر

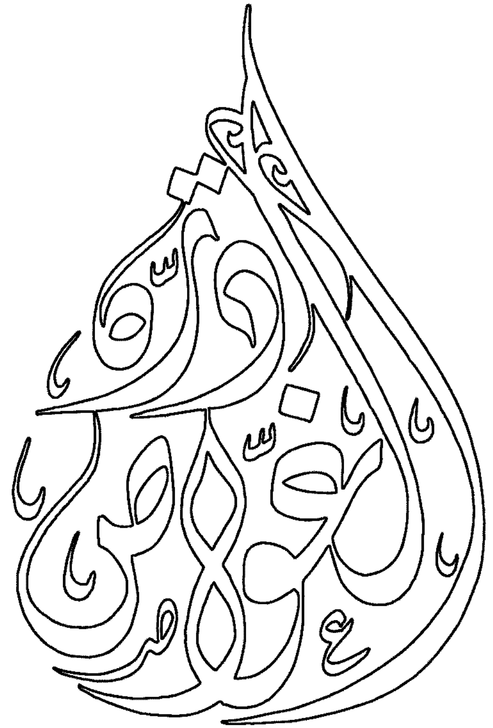
خير الله الشريف

كان ودك آساً

في الزمن الذابل

الجمعة ٢٧/ شعبان/ ١٤١٣ هـ.

١٩/ شباط/ ١٩٩٣ م.



ديوان أبي بكر الصديق

رضي الله عنه

شراع

للدراسات والنشر والتوزيع



الطبعـــة الأولــــى

دمشـــق ١٩٩٣ م

عـــدد النســـخ ٢٠٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذا ديوان يجمع الأشعار المنسوبة إلى أول الخلفاء الراشدين أبي بكر الصديق رضي الله عنه، أقدمه للقارئ الكريم محققاً مشروحاً عن مخطوطة فريدة من مخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق؛ وكنت وقفت على الإشارة إلى هذا الديوان في فهارس مخطوطات الظاهرية، وذلك في أثناء بحثي وتنقيري عن أشعار حميد بن ثور الهلالي رضي الله عنه في سنة ١٤٠٩ للهجرة، فسعيت إلى تصويره من مكتبة الأسد الوطنية التي تحتفظ اليوم بمخطوطات الظاهرية فجاء في الرد من إدارة المكتبة بالموافقة مع التنبيه على أن بعض الناس ذكر أنه حقق الديوان وسيقدمه للطباعة منذ سنة ١٤٠٧ للهجرة؛ فكففت وقتذاك عن تصوير المخطوط، ورحت أنتظر صدور الديوان، وطال الانتظار ثلاث سنين ولم يصدر بعد.

ومن ثم رأيت أن أقوم بهذا العمل ثقة مني بأن بعض الناس هذا ما ذكر أنه حقق الديوان إلا ليخلي الناس عنه

وينفرد بعمله حين يجد الوقت ، وهذه شِنْشِنَةٌ يتخلق بها بعض الناس أصبحنا نعرفها ، وما هي بالعمل المرضي ولا النهج القويم .

ولست أرى في هذا التقديم داعياً إلى ترجمة لأبي بكر رضي الله عنه ، فهو أشهر من أن يحتاج المرء إلى الترجمة له ، على أن كتب التواريخ والتراجم وافية كافية لمن يبتغي تعرفه .

ولكن ما لا بد منه هنا هو الوقوف عند سؤال واستغراب لا شك في أنهما سيتبادران إلى أذهان كثير من القراء ، ولا سيما أن معظمهم لا صلة لهم قوية بكتب التراث ، ولذلك ستراهم يقولون : وهل كان أبو بكر شاعراً ، بله أن يكون له ديوان شعر ؟ لو قلت : ديوان حسان ابن ثابت ، أو عبد الله بن رواحة ، أو كعب بن مالك ، أو علي بن أبي طالب رضي الله عنهم لكان أمراً معروفاً ، أما أن تقول : (ديوان أبي بكر الصديق) فهذا الذي ما سمعنا به من قبل !

ولإزالة هذا الاستغراب أقول : قد كان معروفاً معرفة لا يشوبها شك في القرون الأولى للهجرة أن لأبي بكر شعراً قاله في هذه المناسبة أو تلك ، وأقوالهم تدل على ذلك ، فمن هذا ما نقله أبو زيد القرشي عن المفضل الضبي ، وهو قوله[1] : « ولم يبق أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وقد قال الشعر أو تمثل به ، فمن ذلك قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه يرثي النبي صلى الله عليه وسلم :

أجِدَّكَ ما لعينك لا تنام ... كأن جفونها فيها كِلامُ »

والمفضل الضبي هو من هو في رواية الشعر ومعرفته !

---

(١) جمهرة أشعار العرب ١ : ٤٠ .

ومن ذلك أيضاً ما نقله ابن عبد ربه[1] عن سعيد بن المسيّب، والأبيوردي[2] عن الشعبي، أنهما قالا: «كان أبو بكر شاعراً، وكان عمر شاعراً، وكان عليٌّ أشعرَ الثلاثة، رضي الله عنهم».

ولابن سيّد الناس كتابٌ في الشعراء من الصحابة اسمه (منح المدح أو: شعراء الصحابة ممّن مدح الرسول صلى الله عليه وسلم أو رثاه) ذكر فيه أبا بكر فيمن اسمه عبد الله من شعراء الصحابة[3].

ويُضاف إلى أقوالهم الصريحة هذه أنّ عدداً من المؤلفين القدماء، ولا سيّما مؤلفي كتب السيرة، قد أنشدوا أشعاراً له في كتبهم وسيلاحظ القارئ ذلك في تعليقاتي على كثير من قصائد هذا الديوان، حيث أشيرُ إلى أماكنِ وجودِ القصيدةِ أو بعضِ أبياتها في المصادر.

ولكنّنا نقف في بعض المصادر على كلام منسوب لأمّ المؤمنين عائشة الصدّيقة بنت الصدّيق يثير مشكلةً حول نسبة الشعر إلى أبي بكر، فقد روى عبد الغني المقدسي في (أحاديث الشعر)[4] بسنده عن يونس عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أنها «كانت تدعو على مَنْ كان يقول هذه القصيدة:

يُحدّثنا الرسولُ بأنْ سنحيا وكيفَ حياةُ أصداءٍ وهامِ

فتقولُ: والله ما قال أبو بكر بيتَ شعرٍ في جاهليّةٍ ولا إسلامٍ قطُّ، وما ارتابَ في الله منذ أسلم ...... ولكنْ قال هذه القصيدةَ رجلٌ من بني كلب به غوف، وكان أبو بكر تزوّج امرأةً من بني كلب يُقالُ لها أمُّ بكرٍ، فلمّا هاجر أبو بكر طلّقها، فتزوّجها ابنُ عمّها هذا الشاعرُ الذي قال هذه القصيدةَ رثى بها أهلَ بدرٍ حين قُتلوا:

... ...
تُحيّي بالسّلامةِ أمُّ بكرٍ وهلْ لي بعدَ قومي من سلامِ
... ...

---

(1) العقد الفريد ٥: ٢٨٣.

(2) في مقدمة ديوانه ١: ٨٧، وقد جمع الأبيوردي شعره وقدّم له بنفسه.

(3) منح المدح: ١٤٣.

(4) الحديث ذو الرقم: ٢٢، وحقّقه هذا الكتاب السيّد خير الله شريف، وسيصدر قريباً إن شاء الله.

... ... قالت عائشة : فنحلها الناس أبا بكر من أجل المرأة التي طلقها أبو بكر».

ورواه ابن حَيُّويه بلفظ مختلف في كتاب (مَنْ وافقت كنيته كنية زوجته من الصحابة رضوان الله عليهم)[1] بسنده «عن يونس عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أنها كانت تدعو على من يزعم أن أبا بكر قال هذه الأبيات ، قالت عائشة : والله ما قال أبو بكر بيت شعر في جاهلية ولا إسلام ... ... ولكن أبا بكر تزوج امرأة يقال لها: أم بكر فطلقها ... ...» .

ورواه السُّهيلي[2] بلفظ آخر مختلف : «عن [ابن شهاب] الزهري عن عروة عن عائشة ، قالت : كَذَبَ مَنْ أخبركم أن أبا بكر قال بيت شعر في الإسلام» .

ولو أخذنا هذا الكلام على ظاهره لكان حتماً علينا أن نقول : إن ما وَرَدَ في هذا الديوان من أشعار هو منحول على أبي بكر بعامّته ؛ ولكن تدبُّره ومعارضته بغيره تجعلنا نقف عند هذا الكلام المنسوب إلى أم المؤمنين بحذر شديد ، فنحن إذا نظرنا إلى روايته في المصادر الثلاثة السابقة وجدنا ألفاظه مختلفة ، بل إن ما ورد في لفظ السهيلي يخالف ما وَرَدَ في المصدرين الآخرين ، إذ ينفي أن يكون أبو بكر قال الشعر في الإسلام فقط لا في الجاهلية ؛ واختلاف الألفاظ هذا يعني أن ما قالته أم المؤمنين نُقِلَ عنها بالمعنى الذي فهمه الرواة ، لا بلفظها هي ؛ إذ لو كان بلفظها لما اختلف من مصدر إلى مصدر ، ونقل الكلام بالمعنى يجعله عرضة للتغيير حسب فهم المتلقي ؛ ولذلك أرى أن كلام أم المؤمنين الذي نُقِلَ عنها بالمعنى فُهِمَ على غير ما أرادت ، لأن كلامها كان تعليقاً على مَنْ نسب إلى أبي بكر تلك القصيدة التي رثى صاحبها قتلى بدر من المشركين ، بداعي ذكر أم بكر في القصيدة ؛ فنبهت الناس على أن أباها لم يقل شيئاً من هذه القصيدة في جاهلية يوم كانت أم بكر زوجاً له ، ولا في الإسلام بعدما طلقها ؛ فلما تداول

---

(١) في المجموع ذي الرقم ٣٨٥٢ من مجاميع الظاهرية - الورقات ١٢٣ - ١٣٠ .

(٢) الروض الأنف ٣ / ٢٦ .

كلامها الرُّواةُ ونقلوهُ بالمعنى فَهِمُوه على أنَّها نفتِ الشِّعرَ عامّةً عن أبيها في الجاهليّة والإسلام.

ويرجّح هذا التفسيرَ عندي ثلاثةُ أمورٍ: أوّلُها أنّ البخاريَّ روى كلامَ السّيّدة عائشة عن هذه القصيدة، ولم تَرِدْ فيه العبارةُ التي تنفي فيها قولَ الشّعر عن أبيها لا في الجاهليّة ولا في الإسلام، مع أنّ رجالَ السّند الثلاثةَ الأوائلَ هم أنفسُهم عند البخاري والمقدسيّ وابن حَيّويه؛ قال البخاريّ[1]: «حدّثنا أصبغ، حدّثنا ابن وهب عن يونس، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عائشة أنّ أبا بكرٍ رضيَ الله عنه تزوّج امرأةً من كَلْبٍ يُقالُ لها: أمّ بكر، فلمّا هاجرَ أبو بكرٍ طلّقها، فتزوّجها ابن عمّها هذا الشّاعرُ الّذي قال هذه القصيدةَ رثى بها كفّارَ قريش:

... ...

تُحَيِّي بالسَّلامةِ أمُّ بكرٍ ... وَهَلْ لي بَعْدَ قَوْمي مِنْ سَلامِ

يُحَدِّثُنا الرَّسولُ بأنْ سَنَحيا ... وكَيفَ حَياةُ أَصْداءٍ وَهامِ»

فلمّا كان صحيحُ البخاريّ - وهو من أصحّ الكتب بعد كتاب الله - أقدمَ المصادر التي أوردتْ كلامَ أمّ المؤمنين وأوثقَها وأدقَّها عبارةً، كان هذا مُرجِّحاً قويّاً لما ذهبتُ إليه من أنّ اللفظَ في المصادر الأخرى ليس بلفظ عائشة، ومن ثَمَّ كانت العبارةُ التي تنفي قولَ الشّعر عن أبي بكرٍ هي عبارةَ أحد الرّواة ممّن فهم قولَها على غير وجهه.

وثاني مُرجّحات هذا التفسير عندي أنّ هذه العبارةَ يُعارِضُها ما رُوِيَ عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّه قال[2]: «كان أبو بكرٍ الصّدّيق رضي الله عنه إذا رأى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقول:

أمينٌ مُصْطَفًى للخَيْرِ يَدْعو ... كَضَوْءِ البَدْرِ زايَلَهُ الظَّلامُ »

وهذا البيتُ من قصيدة تقع في ثمانيةَ عشرَ بيتاً في هذا الديوان[3].

---

(1) صحيح البخاري ٣: ١٤٢٧.

(2) نقل هذا الكلام محمد بن أيدمر في كتاب (الدر الفريد وبيت القصيد) ٢: ٧٣ عن أبي الطيّب الوشّاء بسنده إلى أنس رضي الله عنه، كما نقله صاحب السيرة الحلبية ٢: ٩٠.

(3) القصيدة في رثاء النبيّ عليه السّلام، وهذا لا يُعارِض قول أنس إن الصدّيق كان ينشد هذا البيت إذا رأى النبيّ، لاحتمال كونه كان ينشد ذلك في حياته، فلما توفّي رثاه وضمّ البيت إلى مرثيته.

وقد نبّه صاحب السيرة الحلبيّة على هذا التعارض ثمّ قال:[1] «إلّا أن يحمل قولها على أنها لم تسمع ذلك منه».
وثالث المرجحات أثر روي عن أبي بكر في صحيح البخاري[2] ومسند أحمد[3]، من الصّحاح، وغيرهما من الكتب أنّه حمل الحسن بن عليّ رضي الله عنهما وهو يقول:

بأبي شبيهٌ بالنّبيّ ... ليس شبيهاً بعليّ

وعليٌّ يضحك. فهذا البيت له لا شكّ في ذلك، والذي يأتي ببيت يأتي ببيت ثانٍ وثالثٍ، ويأتي بالقصيدة أيضاً، ولاسيما أنّ الرجل ليس نبيّاً معصوماً من قول الشّعر، بل كان حافظاً للشعر راويةً له متمثلاً به[4].

وإذ قد أزلت فيما قدّمت ما قد يتبادر إلى ذهن القارئ حول كون أبي بكر شاعراً، وما قد يثيره الكلام المنسوب إلى أمّ المؤمنين من شكّ حول نسبة الشعر إلى أبي بكر؛ فلننظر باختصار في الموضوعات التي تناولها هذا الشعر فإنّنا سنجده يصوّر جوانب مختلفة من حياة الصّدّيق وتاريخه، كهجرته مع النّبيّ، وجهاده مع سائر الصّحابة عن النّبيّ وعن الإسلام، وما عانوا في جهادهم، وموقفه من حادثة الإفك، وحزنه وبكائه لوفاة النّبيّ عليه السّلام، وغير ذلك.
ولو أردنا الوقوف على النّاحية الفنّيّة لهذه الأشعار فإنّه يمكن إجمال القول بأنّها أشعارٌ فيها الكثير من المواضع التي يتجلّى فيها جمال الشعر وسحره، وفيها بعض مواضع لا تعدو أن تكون في مقياس النّقد نظماً من النّظم.

---

(1) السيرة الحلبية ٢/ ٩٠.
(2) صحيح البخاري ٣: ١٣٧٠. (3) مسند أحمد ١: ٨.
(4) انظر مثلاً من أجل بعض ما تمثّل به من الشعر: دلائل الإعجاز: ٦٧، ١١٢، وهذا الديوان: ٦٥.

الّذي يَفْتَقِرُ إلى جَمالِ الشِّعر ، وفيها مَواضعُ هي نَظْمٌ لِمَعاني بَعْضِ آياتِ القُرآنِ الكريم ؛ على أنّ جامِعًا عامّاً يَجْمَعُ هذه الأشعار ، وهو أنّها في مُسْتَواها العامّ لا تَرْتَقي إلى دَرَجةِ شِعْرِ الفُحولِ مِنْ شُعراءِ صَدْرِ الإسْلامِ ، إلّا في النّادِرِ مِنْها .

مخطوطة الدّيوان :

وَرَدَ هذا الديوانُ ضِمنَ مجموعٍ منَ المجاميعِ الّتي كانت تحتفظُ بها المكتبةُ الظّاهريّةُ بدمشق تحت رقم ٣٦٦٤ ، ثمّ انتقلَ إلى مكتبةِ الأسد الوطنيّة بدمشق ، فقامَتْ بتصويرِهِ على مُصَغَّرٍ فيلميٍّ رَقْمُه ٦٢٥٤ ، ويضمّ هذا المجموعُ عدداً مِن الرسائل ذاتِ الموضوعاتِ المختلفةِ ، مِن تَصَوُّفٍ وعُلومِ قرآنٍ وفقهٍ ووَعْظٍ ، وإلى جانبها بعضُ القصائدِ في مدح النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وديوانُ أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه .

وعددُ صَفَحاتِ المجموعِ هو ٣٦٨ ثمانٍ وستّونَ وثلاثمئةِ صفحةٍ ، واسْتَأْثَرَ ديوانُ أبي بكرٍ بالصَّفَحاتِ ١٠/أ - ٢٠/ب ، وفي كلّ صفحةٍ من الدّيوان ثمانيةَ عشرَ سطراً تقريباً ، وهو مكتوبٌ بخطٍّ نَسْخيٍّ مُعْتادٍ خالٍ مِنَ الشَّكْلِ إلّا في النّادِرِ ، ولا يَخْلو من التّصحيفاتِ أو التّحريفاتِ

وقد تصل بعض الأحيان إلى الإخلال بالوزن أو المعنى.

وهذا المجموع موقوف أصلاً من مكتبة الكزبري، فقد جاء على الوجه الأول من الورقة الأولى ختم كتب فيه «وقف المرحوم السيد عبد الله بن السيد كمال الكزبري، ١٣٤٨» كما وردت على الوجه الداخلي لصحيفة الغلاف هذه العبارة: «كتب الشيخ حمدي السفرجلاني في سجل مكتبة الكزبري أنها بخط الشيخ عبد الغني النابلسي» يعني الرسائل التي في المجموع، ووقع كاتب العبارة باسمه، وهو «محمد صبيب الكسم».

على أن الأستاذ ياسين السواس كتب في فهرس مخطوطات الظاهرية (المجاميع) يصف هذا المجموع: «مجموع جيد كتب رسائله - عدا القليل منها - عبد الغني النابلسي بين سنتي ١٠٨٠ و ١٠٨١ هـ، كتبه بخط فارسي جميل»[1] وهذا وهم، فإن ديوان أبي بكر منسوخ بخط نسخي معتاد، ولم يذكر ناسخه اسمه ولا تاريخ النسخ؛ وهو على الأغلب ليس بخط النابلسي، ويؤكد هذا أن في أبيات الديوان تحريفات وتصحيفات تخل بالوزن والمعنى كما ذكرت آنفاً، وهذا أمر مستبعد حدوثه من عبد الغني رحمه الله، فإنه كان شاعراً عالماً بالأدب.

---

(١) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية - المجاميع، القسم الثاني: ص ٢٤٥

عملي في الدّيوان :

يلاحظ قارئ هذا الدّيوان عدداً جمّاً من الكلمات الغريبة والمعاني المقتبسة من آيات الذكر الحكيم ، وقد أردتُ أن أقدّمه للقارئ محقّقاً مشروحاً شرحاً وافياً يسهّل عليه فهم معانيه ويغنيه عن الرّجوع إلى المعجمات ، ولمّا كان الدّيوان محقّقاً عن مخطوط لا يخلو من التّصحيفات والتّحريفات ، فقد كان من الواجب عليّ أن أتبع الخطوات التالية لتحقيق الهدف من العمل :

١ ـ نسختُ المخطوط كاملاً فرددتُ ما جاء فيه من تحريف أو تصحيف ، وضبطتُ الشّعر ضبطاً كاملاً .

٢ ـ خرّجتُ القصائد والأبيات ودللتُ على مواضع وجودها في المصادر إن وجدتُ فيها .

٣ ـ نبّهتُ على اختلاف رواية الشّعر بين المخطوط والمصادر الأخرى إن كان ثمّة اختلاف .

٤ ـ شرحتُ الكلمات الغريبة ، والمعاني إن كان فيها شيء من الغموض ، ودللتُ على الآيات الكريمة التي أخذتُ منها معاني بعض الأبيات .

٥ ـ حدّدتُ بحور الشّعر التي نُظمت عليها قصائد الدّيوان ، فوضعتُ اسم البحر بين معقوفتين في رأس القصيدة .

٦ - رَقَّمْتُ قصائِدَ الدِّيوانِ وأبياتَ القصائِدِ، فإنْ كانت القصيدةُ على شطورِ الرَّجزِ جعلتُ للشَّطْرِ الواحِدِ رَقماً مُستقلاً.

٧ - ألحقتُ بالدِّيوانِ أبياتاً نُسِبَتْ إلى أبي بكرٍ رضي الله عنهُ في مصادِرَ أُخرى ولم تَرِدْ في الدِّيوانِ المخطوطِ.

٨ - وَضَعْتُ للدِّيوانِ فهرساً للقوافي لِيَسْهُلَ على الباحِثِ العُثورُ على القافيةِ المطْلُوبَةِ، ولأنَّ الدِّيوانَ المخطوطَ لم يُرَتَّبْ على القوافي، فراعَيْتُ التَّرتيبَ الهِجائيَّ لحروفِ الرَّوِيِّ وقَدَّمْتُ الرَّوِيَّ المكسورَ فالمضمومَ فالمفتوحَ فالمُقَيَّدَ (السَّاكن).

٩ - قُمْتُ بالعملِ على نَسْخِ الدِّيوانِ بخطِّ يدي؛ لأنَّني على يقينٍ أنَّ الأخطاءَ ستكونُ نادرةً بالقياسِ إلى أخطاءِ المطبعةِ، ولأنَّ الكتابةَ باليدِ تَحْفَظُ للكتابِ بالرُّوحِ الإنسانيَّةِ ولاسيَّما إذا كانَ الخطُّ جيِّداً.

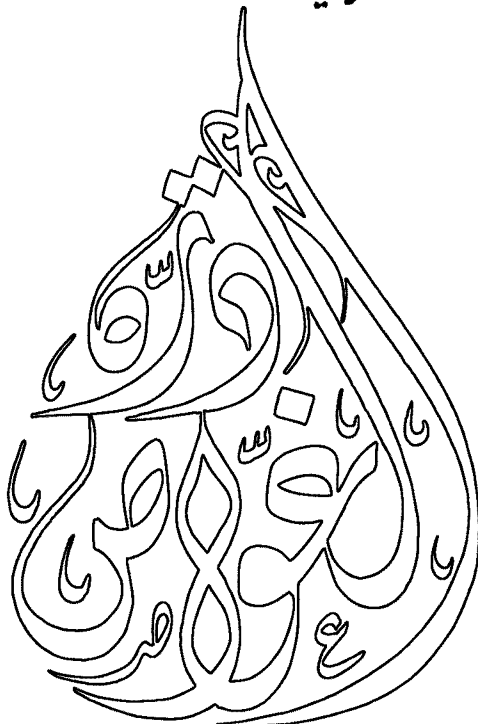
هذا، وقد بذلتُ في هذا العملِ ما استطعتُ من الجهدِ، فأسألُ اللهَ تعالى أنْ يكونَ خالِصاً لِوَجْهِهِ الكريمِ، وألَّا يجعلَ في قلوبنا غِلّاً للذينَ آمنوا إنَّهُ رؤوفٌ رحيمٌ.

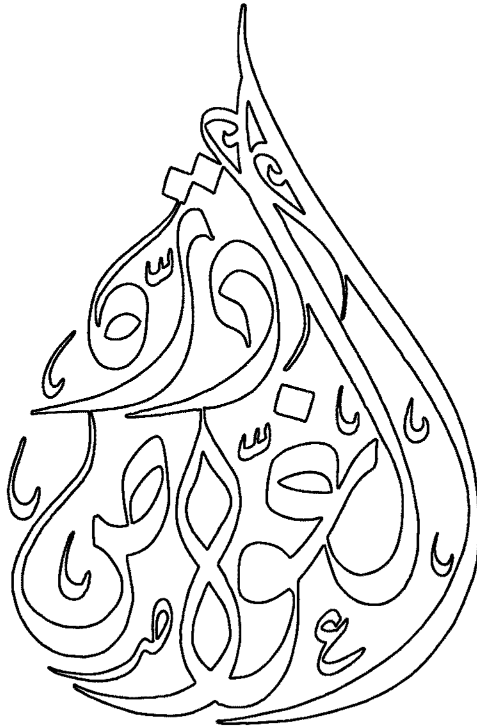
محمد شفيق البيطار

دمشق في ١٤ رجب ١٤١٢ هـ.

ديوان أبي بكر الصديق

رضي الله عنه





بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم اختم بخير يا كريم

قالَ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ خليفةُ رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَرَضِيَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ ، وَٱسْمُهُ عَتِيقٌ [1] ، وَيُقَالُ : عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ ، وَٱسْمُهُ عُثْمَانُ بْنُ عَامِرِ بْنِ عَمْرِو [2] بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمٍ

---

(١) هذا ما ذهبَ إليهِ ابنُ الكلبيّ في جمهرة النَّسب (١ ، ٤٨) ، وذكرَ ابنُ حزمٍ الأندلسيّ أنّ عتيقاً اسمُ أخٍ لأبي بكرٍ ، فقال : « فولدُ أبي قحافةَ : أبو بكرٍ الصِّدِّيق - رضي الله عنه - واسمه عبدُ الله ، خليفةُ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وعتيقٌ ، ومُعْتِقٌ ، ولا عقِبَ لهما » جمهرة أنساب العرب : ١٣٦ . وقيل إنّ عتيقاً هو اسمٌ لأبي بكر سمّاه به رسول الله حين قال له : يا أبا بكر أنتَ عتيقُ اللهِ من النّار ، وقيل : كان يسمّى عتيقاً لجماله ، والعتيقُ هو النّجيبُ الكريم .

وانظر ما ذُكِرَ حول هذا الأمر في صفة الصّفوة ١ : ٢٣٥ ، وتاريخ الخلفاء ٢٨ .

(٢) في الأصل : « عمر » وهو وَهمٌ من النّاسخ .

ابْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ ابْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ الْيَأْسِ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ ابْنِ عَدْنَانَ ، يَذْكُرُ ثَقِيفاً وَإِقَامَتَها عَلَى كُفْرِهَا، وَيُوعِدُهَا إِنْ هِيَ لَمْ تُسْلِمْ بِجُنُودِ اللهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ :

[من الكامل]

١ وَلَقَدْ عَجِبْتُ لِأَهْلِ هَذَا الطَّائِفِ ... وَصُدُودِهِمْ عَنْ ذَا النَّبِيِّ الْوَاصِفِ (١)

٢ وَمِنَ الْإِلهِ فَلَا يُرَى فِي قَوْلِهِ ... خُلْفٌ، وَيَنْطِقُ بِالْكَلَامِ الْعَارِفِ (٢)

٣ فَلَئِنْ ثَقِيفٌ لَمْ تُعَجِّلْ تَوْبَةً ... وَتَصُدُّ عَنْ سَنَنِ الطَّرِيقِ الْجَانِفِ (٣)

٤ لَتُصَبِّحَنَّ غُوَاتَهُمْ فِي دَارِهِمْ ... مِنَّا بِأَرْعَنَ ذِي زُهَاءٍ زَاحِفِ (٤)

---

(١) الطائف: مدينةٌ معروفة، كانت تُقيم فيها قَبيلةُ ثَقيف. و الواصِف: هكذا وَرَدَ في الأصل المخطوط ، و لعلَّهُ أَرادَ: الموصوف ، فاعِلٌ بمعنى مفعول.

(٢) الخُلْفُ: نقيضُ الوَفاء بالوَعد ، كالخُلُفِ. والعارِف: المعروف، أي المعلوم.

(٣) السَّنَنُ: جِهَةُ الطريق ونَهْجُه. والجانِف: المائل الجائر. والواوُ في قوله: « وتصدُّ ..... » حاليّة.

(٤) الأَرْعَنُ: الجيش الكبيرُ ذو الفُضُول، شُبِّهَ بالجَبَلِ الأرعن، أي الذي تَقَدَّمَتْ منه الرُّعُون، وهي الفُضُولُ الشَّاخِصَةُ. والزُّهاء: العدد الكثير، ويأتي أيضاً بمعنى: ما يَقْرُبُ مِن، فيُقال: هُمْ زُهاءُ أَلْفٍ، أي ما يقرب مِن ألف.

٥ فيهِ الكُماةُ على الجيادِ كأنّهمْ ... أُسْدٌ غَدَوْنَ غَداةَ دَجْنٍ واكِفِ[1]

٦ حتّى تُدَوِّخَ كلَّ أَبْلَجَ منهمُ ... مُتَجنِّبٍ سُبُلَ الهُدى مُتَجانِفِ[2]

٧ يَدْعو إلى سُبُلِ الضَّلالِ مُخالِفٍ ... سُبُلَ الهُدى للحقِّ غيرِ مُصارِفِ[3]

٨ أَوْ يَهْلِكوا كَهَلاكِ عادٍ قَبْلَهُمْ ... بِهُبوبِ رِيحٍ ذاتِ سافٍ عاصِفِ[4]

٩ أَوْ يُؤْمِنوا بِمُحَمَّدٍ وَيُكَبِّروا ... ذا العَرْشِ ما إنْ مُؤْمِنٌ كَمُخالِفِ[5]

١٠ عاني الفؤادِ يَرى الضَّلالةَ مَغْنَماً ... وَيرى الهُدى كَمَذُوفِ سُمٍّ جائِفِ[6]

١١ واللهُ يَنْصُرُنا وأَحْمَدُ وَسْطَنا ... كالبَدْرِ أَنْصَفَ وَهْوَ لَيْسَ بِكاسِفِ[7]

١٢ نَمْضي لأَمْرِ نَبِيِّنا ويُعِزُّنا ... وَحْيُ الكِتابِ مِنَ الخَبيرِ اللاّطِفِ[8]

---

(١) في الأصل: «... عراه دخن ...» تحريف وتصحيف.

والكُماة: جَمْعُ الكَميِّ، وهو الشّجاع، ولابِسُ السِّلاح. والدَّجْن: المطر الكثير، وإلْباسُ الغيمِ الأرضَ وأقطارَ السّماء. والواكف: الهاطِل.

(٢) الأبلج: الأبيضُ الحَسَنُ الواسِعُ الوَجْهِ، والرَّجُل الطَّلْقُ الوَجْه، الذي ليسَ بمقرون الحاجبين. والمتجانف: الجائرُ عن سَواءِ السّبيل.

(٣) قوله: «... غير مصارف» كذا في الأصل، ولا وَجْهَ له، فلعلّ فيه تحريفاً.

(٤) السّافُ: السَّفْيُ، وهو ما تَسْفيهِ الرّيحُ مِنَ التّراب.

(٥) ما إنْ مؤمنٌ كمخالف: ما مؤمنٌ كمخالف؛ و(إنْ) زائدة.

(٦) العاني: الأسير، و(عاني الفؤادِ) صفةٌ لـ(مخالِف) في البيت السابق. والمَذُوف: المَخْلوط. والجائف: الذي يدخل الجَوْف.

(٧) وَسْطَنا: بَيْنَنا. وأَنْصَفَ: أي صارَ في منتصَف الشّهر القمريّ، وحينئذٍ يكون القمرُ أتمَّ ما يكون. وكَسَفَ القَمَرُ: احْتَجَبَ، والأحسن أن يقال: كَسَفَتِ الشمسُ وخَسَفَ القَمَرُ.

(٨) اللاّطِف: اللّطيف، وهو البَرُّ بعبادِه.

[٢]

وَقَالَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فِي غَزْوَةِ عُبَيْدَةَ بْنِ ٱلْحَارِثِ: (١)

[من الطويل]

١ أَمِنْ طَيْفِ سَلْمَى بِالْبِطَاحِ ٱلدَّمَائِثِ أَرِقْتَ وَأَمْرٍ فِي ٱلْعَشِيرَةِ حَادِثِ (٢)

---

(١) خَلَطَ جامعُ هذا الشِّعْرِ في الأَصْلِ المخطوط بينَ قصيدتَيْنِ ، تُنْسَبُ أُولاهُما لأبي بكرٍ رضي الله عنه ، والثانيةُ لعبدِالله بنِ الزِّبَعْرَى ، وهُما في السِّيرة النَّبويّة - لابنِ هشام ٢: ٢٤٢-٢٤٤ ؛ و وَرَدَتْ في السِّيرة أبياتٌ لم تكُنْ في المَخْطوط ، فأَضَفْتُها بينَ مَعْقُوفَتَيْنِ ، كما أنَّ بيتاً من القصيدة المنسوبة لابنِ الزِّبَعْرى لم يَرِدْ في السِّيرَةِ ، وسأُنَبِّهُ عليهِ عندَ الشَّرْح.

وَوَرَدَت القصيدةُ المنسوبَةُ لأبي بكرٍ كاملةً في العُمْدَة : ٩٤ ؛ كما وَرَدَت الأبيات ١-١٢ منها في الاكتفاء ٢: ٤-٦.

وقال ابن هشام في تقديمه للقصيدة المنسوبة لأبي بكر : « **وأكثرُ أهلِ العِلْمِ بالشعرِ يُنْكِرُ هذه القصيدةَ لأبي بكر رضي الله عنه** » السِّيرة النبويّة ٢ : ٢٤٢.

(٢) هي السَّرِيَّةُ التي عَقَدَ فيها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أَوَّلَ رايَةٍ لأَحَدٍ من المسلمين ، وكانَ على السَّرِيَّةِ عُبَيْدَةُ بنُ الحارثِ بنِ المُطَّلِب بنِ عبدِ مَنافٍ ، في سِتِّينَ أو ثمانينَ راكباً من المهاجرين ، ليس فيهم مِنَ الأنصار أحد ؛ فَلَقِيَ جَمْعاً عَظِيماً مِنْ قريش ، ولم يكُنْ بَيْنَهم قتالٌ ، إلّا أنَّ سعدَ بنَ أبي وقّاصٍ رضي الله عنه رمى يَوْمئذٍ بِسَهْمٍ ، فكانَ أَوّلَ سَهْمٍ رُمِيَ بهِ في الإسلام ؛ ثمّ انصرفَ بعضُهم عن بعض ؛ انظر السيرة النبويّة - لابن هشام ٢ : ٢٤١-٢٤٥.

(٣) البِطاح : جَمْعُ البَطْحاء ، وهي المكانُ المتّسع يَمُرُّ به السَّيْلُ ، فيترك فيه الرَّمْلَ والحصى الصِّغارَ ؛ ومنه بطحاء مَكّة. والدَّمائث : جمع الدَّميثة ، وهي الأرضُ السَّهْلَةُ اللَّيِّنَةُ . والجارُّ والمجرورُ (مِنْ طَيْفِ ....) مُتَعَلِّقان بالفعل (أَرِقْتَ) ؛ أي امْتَنَعْتَ عن النَّوم لَيْلاً . و (أَمْرٍ) معطوفٌ على (طيف).

٢ أَرَىٰ مِنْ لُؤَيٍّ فِرْقَةً لَا يَصُدُّهَا ... عَنِ ٱلْكُفْرِ تَذْكِيرٌ وَلَا بَعْثُ بَاعِثِ[1]

٣ أَتَاهُمْ رَسُولٌ صَادِقٌ فَتَكَذَّبُوا ... عَلَيْهِ وَقَالُوا: لَسْتَ فِينَا بِمَاكِثِ[2]

٤ إِذَا مَا دَعَوْنَاهُمْ إِلَى الحَقِّ أَدْبَرُوا ... عَنِ الحَقِّ إِدْبَارَ ٱلْكِلَابِ اللَّوَاهِثِ[3]

٥ فَكَمْ قَدْ مَتَتْنَا فِيهِمُ بِقَرَابَةٍ ... وَتَرْكُ التُّقَى شَيْءٌ لَهُمْ غَيْرُ كَارِثِ[4]

---

(١) في السيرة: «تَرَىٰ مِن...» وكذلك في الاكتفاء والعمدة.

مِن لُؤَيّ: أي مِن قريش، ولُؤَيٌّ هُوَ ابْنُ غالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنانةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ اليأْسِ بْنِ مُضَر، وأبناءُ فِهْرٍ هُم قُرَيش، انظر جمهرة أنساب العرب: ١٢.

(٢) في السيرة: «رسولٌ أتاهم...» وكذلك في الاكتفاء والعمدة.

وتَكَذَّبوا على الرّسول: زعموا أنّه كاذِب.

(٣) في السيرة: «... وهَرُّوا هَرِيرَ المُجْحَرَاتِ اللَّواهِثِ» وكذلك في الاكتفاء والعمدة.

وهَرَّ الكلبُ: نَبَحَ وكَشَّرَ عن أنيابه. والمُجْحَرَاتُ: المُدْخَلاتُ في الجُحور، يُقال: أَجْحَرَهُ، إذا أَدْخَلَهُ في الجُحْرِ واضطرّه إليه. واللّواهِث: جمع اللّاهِثِ، وهو الكَلْبُ الذي يُخْرِجُ لسانَه مِن حَرٍّ أو عَطَشٍ أو تَعَبٍ، قال اللهُ تعالى في صِفَةِ بعضِ الكُفّار: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَٰلِكَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ لأنّكَ إذا حَمَلْتَ عليه نَبَحَ وولّى هارباً، أو تَرَكْتَه شَدَّ عليكَ ونَبَح، فهو يَتْعَبُ مُقْبِلاً عليكَ أو مُدْبِراً عنكَ، فيُصيبه من ذلكَ ما يُصيبُه عند العَطَشِ، فَيَدْلَعُ لِسانَه.

(٤) في السيرة: «... مَتَتْنا فيهمُ...» وكذلك في الاكتفاء والعمدة.

وغير كارِث: غَيْرُ مُحْزِن.

ومَتَّ إليهِ بِقَرابَةٍ ونحوها: تَوَصَّلَ بها إليه، يُقال: فلان يَمُتُّ إليكَ بِقَرابة.

٦ فَإِنْ يَرْجِعُوا عَنْ كُفْرِهِمْ وَعُقُوقِهِمْ ... فَمَا طَيِّبَاتُ الحِلِّ مِثْلُ الخَبَائِثِ

٧ وَإِنْ يَرْكَبُوا طُغْيَانَهُمْ وَضَلالَهُمْ ... فَلَيْسَ عَذَابُ اللهِ عَنْهُمْ بِلَابِثِ [١]

٨ وَنَحْنُ أُنَاسٌ مِنْ ذُؤَابَةِ غَالِبٍ ... لَنَا العِزُّ مِنْهَا فِي الفُرُوعِ الأَثَائِثِ [٢]

٩ [فَأُولِي بِرَبِّ الرَّاقِصَاتِ عَشِيَّةً ... حَرَاجِيجَ تُحْدَى فِي السَّرِيحِ الرَّثَائِثِ] [٣]

١٠ كَأُدْمِ ظِبَاءٍ حَوْلَ مَكَّةَ عُطَّفٍ ... يَرِدْنَ حِيَاضَ البِئْرِ ذَاتِ النَّبَائِثِ [٤]

---

(١) لَبِثَ عنه: أبطأَ وتأخَّرَ.

(٢) ذُؤَابَةُ كلِّ شَيْءٍ: أعلاه، يُقال: فُلان مِن ذُؤابةِ قَوْمِهِ، إذا كانَ مِن أشرافِهم والمُقَدَّمِينَ فيهم. وغالبٌ: هو ابنُ فِهْرٍ، وانظر التعليقَ على البيت الثاني من هذه القصيدة. والأَثائثُ: جَمْعُ الأثيث، وهو الكثيف الملتفّ.

(٣) أُولي: أَحْلِفُ وأُقْسِمُ، وآلَى إيلاءً: أَقْسَمَ، والأَلِيَّةُ: القَسَمُ واليَمِين. والرَّاقِصات: الإبل، تقول: رَقَصَ الجَمَلُ رَقْصاً ورَقَصاً ورَقَصاناً إذا أسْرَعَ. والحَراجيج: جَمْعُ الحُرْجُوجِ، وهو الطَّويل الشَّديد مِنَ الإبل. وتُحْدَى: تُساقُ بالحُداء، وهو الغِناءُ للإبلِ؛ ويُرْوَى: «تَخْدِي» انظر السِّيرة ٢: ٤٣؛ وخَدَى البعيرُ خَدْياً وخَدَياناً إذا أسْرَعَ. والسَّريحُ: نِعالُ الإبلِ، وهيَ قِطَعٌ مِن جِلْدٍ تُرْبَطُ في أَخفافِها خَوْفاً مِن أنْ تُصيبَها الحِجارة. والرَّثائثُ: جَمْعُ الرَّثيثة، وهيَ البالية.

(٤) في السِّيرة، والاكتفاء، والعمدة: «... حول مكّة عُكَّفٍ ...». والأُدْمُ: جَمْعُ الآدَم، وهوَ مِنَ الظِّباءِ ما كانَ لَوْنُهُ مُشْرَباً بِبَيَاضٍ. والعُطَّفُ: جمع العاطِف، وعَطَفَت الظَّبية: أمالَت عنقَها وحَنَتْهُ. والبئر: يعني بئرَ زَمْزَم، والبئرُ مؤنَّثة، ولذلك وصفها بقوله: «ذات النَّبائث». والنَّبائثُ: جمع النَّبيثة، وهي التُّرابُ المُسْتَخْرَجُ من البئر. وعُكَّفٌ: جمع عاكف وعاكفة، أي مقيم ومقيمة.

١١ لَئِنْ لَمْ يُفِيقُوا عَاجِلاً مِنْ ضَلَالِهِمْ　　وَلَسْتُ إِذَا آلَيْتُ قَوْلاً بِحَانِثِ[1]

١٢ لَتَبْتَدِرَنْهُمْ غَارَةٌ ذَاتُ مَصْدَقٍ　　تُحَرِّمُ أَطْهَارَ النِّسَاءِ الطَّوَامِثِ[2]

١٣ تُغَادِرُ صَرْعَى تَعْصِبُ الطَّيْرُ حَوْلَهُمْ　　وَلَمْ يَرْأَفِ الْكُفَّارُ رَأْفَ ابْنِ حَارِثِ[3]

١٤ فَأَبْلِغْ بَنِي سَهْمٍ لَدَيْكَ رِسَالَةً　　وَكُلَّ كَفُورٍ يَبْتَغِي الشَّرَّ بَاحِثِ[4]

---

(١) آلَيْتُ: أَقسمتُ. وحَنِثَ في قَسَمِه حِنْثاً: لم يَبَرَّ فيها وأَثِمَ.

(٢) ابْتَدَرَتْهُمُ الغارةُ: عاجَلَتْهم. وذاتُ مَصْدَق: ذاتُ صِدْق. والطَّوامِثُ: جَمْعُ الطَّامِثِ، وهِيَ الحائضُ؛ وقوله: «تُحَرِّمُ أَطهارَ النساءِ الطَّوامِثِ» أي تَجْعَلُ ما يَحِلُّ للرَّجُلِ مِنْ زَوْجِهِ في حالِ طُهْرِها مُحَرَّماً، وذلكَ لكَثْرَةِ القَتْلَى؛ وكانَ أَحَدُهُم إذا قُتِلَ لَهُ حميمٌ يُقْسِمُ أَلَّا يأتيَ النِّساءَ حتَّى يَثْأَرَ بحميمِه، قالَ الرَّبيعُ بنُ زيادٍ العبسيُّ يرثي مالكَ بنَ زهيرٍ العبسيَّ:

أَفَبَعْدَ مَقْتَلِ مالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ　　تَرْجُو النِّساءُ عَواقِبَ الأَطْهارِ؟

(٣) في السِّيرة: «... ولا تَرْأَفُ الكُفَّارَ ...».

وتَعْصِبُ الطَّيرُ حولَهم: تجتمع الطَّيْرُ حَوْلَهم؛ يعني الغِرْبانَ والنُّسورَ التي تأْكُلُ مِنْ جِيَفِهِمْ. ورَأَفَ بِهِ: رَحِمَهُ أَشَدَّ الرَّحْمَةِ، وعَطَفَ عليه؛ تقول: رأَفَ بِهِ رأْفةً ورَآفةً ورَأْفاً، فقال: «رَأْفَ ابنِ حارِثِ» يريد: رَأْفَ ابنِ حارِثٍ، فسكَّنَ الهمزةَ للضَّرورة؛ وابنُ حارِث: هو عبيدة بن الحارِث قائدُ السَّرِيَّة التي بعثها رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم.

(٤) بَنُو سَهْمٍ: مِن قُرَيش، وهم بنو سَهْمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ هُصَيْصِ ابْنِ كَعْبِ بْنِ لؤَيِّ بنِ غالِبٍ، انظر جمهرة أنساب العرب: ١٦٣ - ١٦٦؛ ومِن بني سَهْمٍ عبدُ اللهِ بْنُ الزِّبَعْرَى السَّهْمِيُّ الذي تُنْسَبُ إليه القصيدةُ التي تَرُدُّ على هذه القصيدةِ المنسوبةِ إلى أبي بكر رضي الله عنه.

١٥ مَتَى تَشْعَثُوا عِرْضِي عَلَى سُوءِ رَأْيِكُمْ
فَإِنِّيَ مِنْ أَعْرَاضِكُمْ غَيْرُ شَاعِثِ (١)

[فَأَجَابَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزِّبَعْرَى السَّهْمِيُّ (٢) فَقَالَ] :

١ [أَمِنْ رَسْمِ دَارٍ أَقْفَرَتْ بِالْعَثَاعِثِ بَكَيْتَ بِعَيْنٍ دَمْعُهَا غَيْرُ لَابِثِ] (٣)

---

(١) في السِّيرة : « فإن تَشْعَثُوا ... » وكذلك في العُمدة .

وشَعَثَ عِرْضَهُ : قَدَحَ فيه وطَعَنَ عليه ؛ مأخوذٌ من التَّشْعِيثِ ، وهو الغَضُّ من الآخَرِ وتَنَقُّصُه .

(٢) عبد الله بن الزِّبَعْرَى السَّهميّ : أحد بني سَهْم بن عَمْرو بن هُصَيْص بن كعب ابن لؤيّ ، كان أبرزَ شعراء مكّة في الجاهليّة وعصر الرّسول صلّى الله عليه وسلّم ، هَجا رسول الله والمسلمين وآذاهم ، وناقَضَ شعراءَ النبيّ ولا سيّما حسّانَ بن ثابت ؛ ثمّ أسلَمَ بَعْدَ الفتحِ وحَسُنَ إسلامُه وأنشد شِعراً كثيراً يعتذرُ فيه ممّا سَلَفَ مِن إساءَتِه ؛ وله مجموع شعرٍ صَنَعَهُ الدّكتور يحيى الجبوريّ ، وطبعته مؤسّسة الرّسالة في بيروت طبعتين ، الأولى سنة ١٣٩٨ هـ ، والثانية سنة ١٤٠١هـ .

وهذه القصيدة في مجموع شِعْرِه : ٣١ ، نَقْلاً عَنْ السيرة النبويّة - لابن هشام ، وتزيدُ روايتُها عندنا ببيتٍ واحدٍ هُوَ الرّابعُ .

(٣) رَسْمُ الدّار : الأثَرُ الباقي منها بعدَ ما عَفَتْ وامَّحَتْ . وأَقْفَرتِ الدّارُ : خَلَتْ مِن أهلِها . والعَثاعِثُ : جَمْعُ العَثْعَثِ ، وهو الكَثيبُ السَّهْلُ أَنْبَتَ أو لم يُنْبِتْ ، وخَصَّهُ بعضُهم بالّذي لا يُنْبِتُ .

٢ [وَمِنْ عَجَبِ ٱلْأَيَّامِ ـ وَٱلدَّهْرُ كُلُّهُ ... لَهُ عَجَبٌ مِنْ سَابِقَاتٍ وَحَادِثِ ـ]

٣ لَجَيْشٌ أَتَانَا ذُو عُرَامٍ يَقُودُهُ ... عُبَيْدَةُ يُدْعَى فِي ٱلْهِيَاجِ ٱبْنَ حَارِثِ (١)

٤ لِيَنْتَزِعُوا أَحْلَامَنَا عَنْ مَكَانِهَا ... وَيُتْبَعَ صَابٍ فِعْلُهُ فِعْلُ عَابِثِ (٢)

٥ وَنَتْرُكَ أَنْصَابًا بِمَكَّةَ عُكَّفًا ... مَوَارِيثَ مَوْرُوثٍ لِأَكْرَمِ وَارِثِ (٣)

---

(١) في السّيرة : « لِجَيْشٍ أَتانا ذي... » ، وَهْمٌ ، والصَّواب ماجاءَ عندَنا .

و « لَجَيْشٌ » : اللّامُ لامُ الابتداء ، وجَيْشٌ : مبتدأٌ مؤَخَّرٌ ، خَبَرُهُ هُوَ « مِنْ عَجَبِ الأَيّام » . والعُرام : كَثرة الجيش وشِدَّتُه . و عُبَيْدَةُ بنُ الحارث : هو قائدُ السَّريّةِ الّتي أرسلها النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فقال فيها أبو بَكرٍ القصيدةَ السّابقة ، إن صحّت نسبَتُها له . والهِياج : الحرب .

(٢) لَم يَرِدْ هٰذا البيت في السِّيرة ، ولا في مجموع شعر ابن الزِّبَعْرى ، وقد أشار إليه ابنُ هشامٍ فقال : « تَرَكْنا مِنْها بيتاً واحداً » أي مِن هذه القصيدة ، وإنّما تَرَكَهُ لِما فيهِ مِن نَبْزِ رَسولِ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم بأَنَّهُ صابٍ .

والأحلامُ : جمع الحِلْمِ ، وهو العَقْل . وقوله : « ويُتْبَعَ صابٍ... » يعني رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، لأَنّه خَرَجَ ممّا كان عليهِ المُشرِكونَ إلى دينِ اللهِ الحَنيف ، وكان كُفّار مكّة يقولون للرَّجُل إذا أَسْلَمَ : قَدْ صَبَأَ ، يَعْنونَ أَنَّه خَرَج مِن دينٍ إلى دين ، وكانوا يُسَمّونَ المُسْلِمينَ الصُّبَاةَ ، بغَيْرِ هَمْزٍ ، جَمعاً للصّابي ـ غيرَ مهموزٍ ـ لأَنَّ قُرَيشاً كانت لا تَهْمِز ، والأَصلُ أَن يُقالَ : صَابِئٌ ، فتركوا الهمزَ وأَبْدَلوهُ ياءً .

(٣) في السّيرة : « لِنَتْرُكَ أَصْناماً...... كَريمٍ لِوارِثِ » .

والأَنصاب : جَمْعُ النَّصْبِ ، وهو ما كانَ يُنْصَبُ لِيُعْبَدَ مِنْ دونِ الله .

٦ وَلَمَّا لَقِينَاهُمْ بِسُمْرٍ رُدَيْنَةٍ ... وَجُرْدٍ عِتَاقٍ فِي الْهِيَاجِ لَوَاهِثِ (١)

٧ وَبِيضٍ كَأَنَّ الْمِلْحَ فَوْقَ مُتُونِهَا ... بِأَيْدِي كُمَاةٍ كَاللُّيُوثِ الْعَوَائِثِ (٢)

٨ نُقِيمُ بِهَا إِصْعَارَ مَنْ كَانَ مَائِلاً ... وَنَشْفِي ذُحُولاً عَاجِلاً غَيْرَ رَائِثِ (٣)

---

(١) في السِّيرة : « فلمّا ... في العَجاجِ لَوَاهِثِ ».

والسُّمْر : جَمْعُ الأَسمَرِ ، وهو الرُّمح . ورُدَيْنَةُ : امرأةٌ كانت تُقَوِّمُ الرِّماح فَنُسِبَتْ إليها ، فقالوا : رماحٌ رُدَيْنِيّة . والجُرْدُ : جَمْعُ الأَجْرَدِ ، وهو الفَرَسُ القصيرُ الشَّعَرِ ، وذلكَ مِن علاماتِ العِتْقِ والكَرَمِ ؛ والأَجْرَدُ أيضاً : الفَرَسُ الذي يتقدَّم الخَيْلَ ويَنْجَرِدُ عنها لِسُرْعَتِه . والعِتاق : جَمْعُ العَتيقِ ، وهو الكريم النّجيب . والهِيَاج : الحَرْب .

والعَجاج : الغُبار ، يعني غُبارَ الحرب .

(٢) في الأصل : « ... كأنَّ اللَّمح ... » تحريف ، وأُثبتُّ الصَّوابَ عن السِّيرة .

والبِيضُ : جَمْعُ الأبيض ، وهو السَّيف . وَمَتْنُ السَّيف : صَفْحَتُه .

والكُماة : جمع الكَمِيّ ، وهو الشّجاع المُقَدَّم الجريء ، ولابِسُ السّلاح .

والعوائثُ : جمع العائث ، أي المُفْتَرِس الشّديد الأَخْذِ ؛ يُقال : عاثَ في الأمْرِ ، إذا أفسَدَهُ وأَخَذَه بغيرِ رِفْقٍ .

(٣) في الأصل : « ... أَضْغانَ ... » تحريف ، وله وَجْهٌ بعيد ، لأنَّ الضِّغْنَ هُوَ الحِقْد ، وجَمْعُهُ أَضغان ؛ وأُثبتُّ روايةَ السِّيرة ؛ وفي السِّيرة : « ... ونَشْفي الذُّحُولَ ... ».

وأَصْعَرَ خَدَّه إصْعاراً : أَمالَه عُجْباً وكِبْراً . والذُّحول : جَمْعُ الذَّحْلِ ، وهو الحِقْدُ ، والثَّأر ؛ وأرادَ هاهنا الحِقْدَ ، لأنَّه لم يكن بين المسلمين والمشركين قتال قبل ذلك . وغير رائث : غير مُبْطِئ .

٩ [فَكَفُّوا عَلَى خَوْفٍ شَدِيدٍ وَهَيْبَةٍ ... وَأَعْجَبَهُمْ أَمْرٌ لَهُمْ أَمْرُ رَائِثِ] (١)

١٠ وَلَوْ أَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا نَاحَ نِسْوَةٌ ... أَيَامَى لَهُمْ مَا بَيْنَ نَسْءٍ وَطَامِثِ (٢)

١١ وَقَدْ غُودِرَتْ قَتْلَى تُخَبِّرُ عَنْهُمُ ... حَفِيًّا بِهِمْ أَوْ غَافِلًا غَيْرَ بَاحِثِ (٣)

١٢ فَأَبْلِغْ أَبَا بَكْرٍ لَدَيْكَ رِسَالَةً ... فَمَا أَنْتَ عَنْ أَعْرَاضِ فِهْرٍ بِمَاكِثِ (٤)

---

(١) في بعض نسخ السّيرة : « ... غيرُ رائثٍ » .

يعني أنّ أصحابَ عبيدةَ بنِ الحارث كفّوا عن قتال المشركين خوفاً وهيبةً !!

(٢) في الأصل : « ... باحَ نِسوَةٌ ... نمنى وطامثٍ » تصحيف وتحريف .

وفي السّيرة : « ... مِن بَيْنِ ... » .

ولم يفعلوا : لم يكفّوا عن القتال . والأيامى : جمع الأيّم ، وهي هنا التي فقدت زوجها . والنَّسْءُ والنُّسْءُ والنِّسْءُ ، بتثليث النون : المرأة التي تأخّر حيضها عن وقتِه وظنَّ أنّها حامِلٌ . والطّامِثُ : الحائضُ .

(٣) في الأصل : « ... بخَبَرَ منهم حفياً لهم ... » تحريف ، وفي السيرة : « ... يُخَبِّرُ عَنْهُمْ حَفِيٌّ بهم أو غافِلٌ غَيْرُ ... » .

وقوله : « وقد غُودِرَت ... » يعني : لولم يكفّوا عن القتالِ لَنَاحَ نِسْوَةٌ لَهُمْ ولَغُودِرَتْ قَتْلَى ... ... والحَفِيّ : المُلِحُّ في السُّؤال ، يُقال : حَفِيَ بِهِ وتَحَفَّى واحتَفَى إذا أكْثَرَ السُّؤالَ عَنْ حالِهِ .

(٤) يَرُدُّ على ما جاءَ في القصيدة السّابقة المنسوبة لأبي بكر ، وذلك قوله :

فَأَبْلِغْ بَنِي سَهْمٍ لَدَيْكَ رِسالَةً ... وَكُلَّ كَفُورٍ يَبْتَغِي الشَّرَّ باحِثٍ

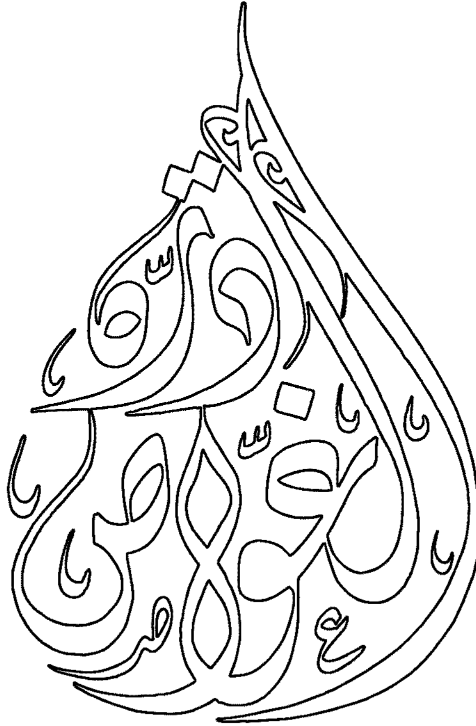
مَتَى تَشْعَثُوا عِرْضِي عَلَى سُوءِ رأيِكُمْ ... فَإِنِّي مِنْ أَعْرَاضِكُمْ غَيْرُ شاعِثِ

وفِهْرٌ : أي بني فِهْرٍ ، وهم قريش .

١٣ وَلَمَّا تَجِبْ مِنِّي يَمِينٌ غَلِيظَةٌ   تُجَدِّدُ حَرْباً حَلْفَةً غَيْرَ حَانِثِ (١)

---

(١) لمَّا تَجِبْ: ما وَجَبَتْ بَعْدُ. واليمينُ الغليظَةُ والمُغَلَّظَةُ: المُشَدَّدَةُ.
وحَنِثَ في يمينِهِ: لم يَبَرَّ فيها وأَثِمَ.



وَقَالَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فِي غَزْوَةِ عَبْدِ ٱللَّهِ بْنِ جَحْشٍ حِينَ قَالَتْ قُرَيْشٌ [١] [٢]:

قَدْ أَحَلَّ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ ٱلْحَرَامَ، فَسَفَكُوا ٱلدِّمَاءَ، وَأَخَذُوا فِيهِ ٱلْمَالَ،
وَأَسَرُوا فِيهِ ٱلرِّجَالَ؛

---

(١) وردت الأبيات في السيرة النبويّة - لابن هشام ٢ : ٥٦٠ ، والسيرة النبوية - لابن كثير ٢ : ٣٧٢ ، والاكتفاء ٢ : ١٢-١٣ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣٦٦-٣٦٧ ، وشرح المواهب اللّدُنّيّة ١ : ٣٩٨ ، ومنح المِدَح : ١٠٠ ونَسَبها لعبدالله بن جحش.

(٢) في الأصل : « عُبَيْدُ الله ... » وهو وَهْمٌ ، والصّوابُ ما أَثبتُّ ؛ فأمّا عبيد الله بن جحش فكان ممّن هاجر إلى الحبشة ، ومعه زوجه أمّ حبيبة بنت أبي سفيان ، فلمّا قَدِمَ الحبشةَ تَنَصَّرَ وفارَقَ الإسلام ومات هنالك نصرانيّاً ، فخَلَفَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على أمّ حبيبة رضي الله عنها ، فأصدقَها النّجاشيُّ ملكُ الحبشة عن رسول الله أربعَ مئةِ دينار ، وهو الذي نابَ عن النبيّ في خِطبتها ؛ انظر السيرة النبويّة - لابن هشام ٤ : ٦ و ٥٩٠.

وأمّا عبدُ الله بن جحش فهو أخو عُبَيْدِ الله المذكور ، وأُختهما زينب بنت جحش زوج رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، وكان بعثه النبيّ على رأسِ سَرِيّةٍ في ثمانيةِ رجال مِنَ المهاجرين إلى موضع بين مكّة والطّائف ليترصّدوا قريشاً ويعرفوا أخبارها ، فمرّت بهم عِيرٌ تحمل تجارةً لقريش فيها أربعة رجال ، وذلك في آخر يوم مِن رَجَب الحرام ، فقالوا : واللهِ لئن تركتُموهم هذه اللّيلةَ ليدخُلُنَّ الحَرَمَ فَلَيمتَنِعُنَّ منكم به ، ولئن قتلتُموهم لتقتُلُنَّهُمْ في الشّهر الحرام ؛ فتردّدوا ثمّ شجّعوا أنفسهم عليهم ، فقتلوا واحداً مِنَ القوم وأسروا اثنَيْنِ وأفْلَتَ واحد ؛ فأخذوا العِيرَ والأسيرَيْنِ وقدِموا على النبيّ عليه السّلامُ في المدينة ، فأنكرَ عليهم القتالَ في الشهر الحرام ؛ وقالت قريش : قد استَحَلَّ محمّد وأصحابُه الشّهرَ الحرام ، وسفكوا فيه الدّمَ ، وأخذوا فيه الأموالَ ، وأسَرُوا فيهِ الرّجالَ ؛ فلمّا أكثَرَ النّاسُ القولَ في ذلكَ أنزَلَ الله تعالى على نبيّه : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ، قُلْ : قِتَالٌ

[من الطويل]

١ تَعُدُّونَ قَتْلاً في الحَرامِ عَظِيمَةً وَأَعْظَمُ مِنْهُ لَوْ يَرَى الرُّشْدَ رَاشِدُ[1]

﴿ فِيهِ كَبِيرٌ ، وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالمَسْجِدِ الحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ ، والفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ القَتْلِ ﴾ أي : إن كنتم قَتَلْتُم في الشهر الحرام فقد صَدُّوكم عن سبيلِ اللهِ ، مع الكُفْرِ بِهِ ، وصَدُّوكم عن المسجدِ الحرام ، وإخراجُكم مِن المسجدِ الحرام وأنتم أَهْلُه أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ مِنْ قَتْلِ مَنْ قَتَلْتُمْ ، وكانوا يَفْتِنُونَ المُسْلِمَ عن دينه حتّى يَرُدُّوه إلى الكُفْرِ ، فذلكَ أَكْبَرُ عندَ اللهِ مِنَ القَتْلِ .

فلمّا نَزَلَ القرآن فُرِّجَ عَن المسلمين ، وقَسَمَ رسولُ اللهِ العِيرَ ، وأفدى الأسيرَيْن ، فأسلَمَ أحدُهما وأقامَ عندَ النبيّ عليه السّلام ، فكانت هذه العِيرُ أوّلَ غَنِيمةٍ غَنِمَها المسلمون مِن مُشْرِكي مكّةَ بعدَ الهجرة .

قالَ ابنُ هشام : « قال ابنُ إسحاق : فقال أبو بكر الصِّدِّيق رضيَ اللهُ عنه في غزوة عبدالله بن جحش ، ويُقال : بل عبدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ قالَها ، حينَ قالت قريش : قد أحَلَّ محمّد وأصحابُه الشَّهرَ الحرام ، وسفكوا فيه الدَّمَ ، وأخذوا فيه المال ، وأسروا فيه الرِّجال – قال ابنُ هشام : هِيَ لِعَبْدِالله ابن جحش – : (الأبيات) » السّيرة النّبويّة ٢ : ٢٥٦ .

(١) في الأصل : « يَعُدّون قَتْلى ... » تصحيف ، والصّوابُ عَن سائرِ مصادِر الأبيات .

وقوله : « ... أَعْظَمُ ... » مبتدأ ، وخَبَرُه في البيت التالي : « صُدودُكم ... » ؛ ويُسَمّى هذا عند أهل العروض تَضْميناً ، فبعضُهم يَعُدُّه عَيْباً ، وبعضُهم لا يَعُدُّه ؛ انظر : الوافي في العروض والقوافي : ٢٤٨ ، وكتاب القوافي – للأخفش : ٧٠ ، والكافي في علم القوافي : ١٣٠ .

٢ صُدُودُكُمْ عَمَّا يَقُولُ مُحَمَّدٌ   وَكُفْرٌ بِهِ وَٱللَّهُ رَبِّي شَاهِدُ[1]

٣ وَإِخْرَاجُكُمْ مِنْ مَسْجِدِ ٱللَّهِ أَهْلَهُ   لِئَلَّا يُرَى لِلَّهِ فِي ٱلْبَيْتِ سَاجِدُ[2]

٤ فَإِنَّا وَإِنْ عَيَّرْتُمُونَا بِقَتْلِهِ   وَأَرْجَفَ بِالْإِسْلَامِ بَاغٍ وَحَاسِدُ[3]

٥ سَقَيْنَا مِنَ ٱبْنِ ٱلْحَضْرَمِيِّ رِمَاحَنَا   بِنَخْلَةَ لَمَّا أَوْقَدَ ٱلْحَرْبَ وَاقِدُ[4]

---

(١) في سائر المصادر: «... واللهُ راءٍ وشاهِدُ».
وراءٍ: ناظرٌ، فاعلٌ مِن: رأى. وجملة: «واللهُ ربِّي شاهِدُ» حاليَّة.

(٢) في منح المدح: «... في البيت للهِ ساجِدُ».

(٣) بقتلِه: أي بقتْلِ الذي قَتَلْناهُ ممَّن كانَ مع العِيرِ، وهو عَمْرُو بن الحَضْرَميّ، انظر السِّيرة ـ لابن هشام ٢: ٢٥٤. وأَرْجَفَ: خاضَ بالأخبارِ السَّيِّئةِ الكاذِبة.

(٤) في منح المدح: «شَفَيْنا...» تصحيف.
ونخلةُ: هو الموضع الذي رَصَدَ فيه عبدُ الله بن جحش وأصحابُه، وقتلوا فيهِ عَمْرَو بنَ الحَضْرَميّ، وهو موضِعٌ بين مكّةَ والطّائف بالحجاز، معجم البلدان (نخلة). وواقِد: هو ابنُ عبدِ الله التَّميميُّ، وهو الذي رمى ابنَ الحضرميّ بسهمٍ فقتله.

٦ دَماً، وَٱبْنُ عَبْدِ ٱللهِ عُثْمَانُ بَيْنَنَا ... يُنَازِعُهُ غُلٌّ مِنَ ٱلْقِدِّ عَارِدُ [1]

---

(1) في الأصل: « وما وابنُ... » تحريف. وفي السيرة - لابن هشام، وتاريخ الخميس: «...مِنَ القِدِّ عانِدُ»؛ وفي السيرة - لابن كثير، والاكتفاء: «... مِن القَيْدِ عانِدُ»؛ وفي شرح المواهب اللَّدُنِّيَّة: «... مِن القَيْدِ قاعِدُ»؛ وفي مِنَح المِدَح: «... عاقِدُ».

وقوله: « دماً » مفعول به ثانٍ للفعل « سَقَيْنا ». وعثمان بن عبدالله: هو أحدُ الأسيرَيْنِ اللَّذَيْن أخذهما عبدالله بن جحش وأصحابه رضي الله عنهم، ثمَّ فُدِيَ ولحق بمكّة فمات بها كافراً؛ والأسير الثاني هو الحَكَمُ ابن كَيْسان، وقد أسلمَ وحَسُنَ إسلامُه، وأقامَ عندَ رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم حتّى قُتِلَ يومَ بئرِ مَعُونةَ شهيداً. والغُلّ: القَيْد. والقِدّ: السَّيْرُ يُقَدُّ مِن الجِلْدِ - أي يُشَقُّ - لِخَصْفِ النِّعال ونحو ذلك. والعَارِدُ: الشديد القَوِيّ.

والعانِدُ، مأخوذٌ مِن قولهم: عَنَدَ عَنِ الطَّريقِ، إذا مالَ عنه، وعَنَدَ إذا خالَفَ غَيْرَهُ وغيرُهُ على صواب، يريد أنَّ الغُلَّ شديدٌ قويّ لا يقدِرُ الأسيرُ على حَلِّه أو قَطْعِه.

[٤]

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَذْكُرُ قِصَّةَ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ[1] وَذَبَّهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

[من البسيط]

١ حَمَى نَبِيَّ الْهُدَى بِالسَّيْفِ مُنْصَلِتًا ... حَتَّى إِذَا انْكَشَفُوا حَامَى عَنِ الدِّينِ[2]

٢ صَبْرًا عَنِ الطَّعْنِ إِذْ وَلَّتْ جَمَاعَتُنَا ... وَالنَّاسُ مِنْ بَيْنِ مَحْرُومٍ وَمَغْبُونِ[3]

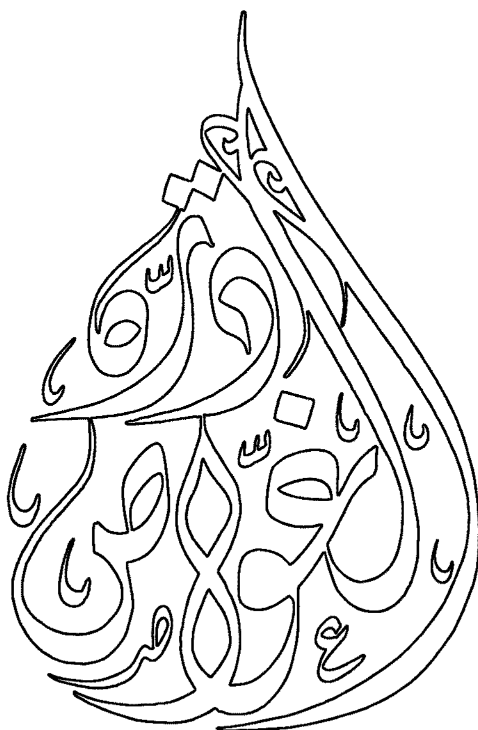
---

(١) طلحة بن عُبَيْدِ الله التَّيمِيّ القُرَشِيّ، صحابِيٌّ مِن السَّابِقِين الأُوَلِ إلى الإسلام، كان يُسَمَّى هُوَ وأبو بكر رضي الله عنهما القَرِينَيْن، وذلك أنَّ نَوْفَلَ بنَ خُوَيلِد بن أَسَد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ ـ وكان مِن شياطين قريش ـ قَرَنَ بينهما حين أَسْلَما في حَبْلٍ، وقد أُوذِيَ طلحةُ في الله ثمَّ هاجر، ولم يشهد بَدْرًا لأنَّه كانَ في تجارةٍ له بالشَّام، وتألَّم لغَيْبَتِه، فضَرَبَ له رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بِسَهْمِه وأَجْرِه، وفي غزوة أُحُدٍ أبلى بلاءً حَسَنًا وحامى عن النبيّ عليه السَّلام، وشُلَّتْ فيها إحدى يَدَيه وكانَ وقى بها النبيَّ؛ وهُوَ أَحَدُ العَشَرَةِ المُبَشَّرين بالجَنَّة، كانَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم على جَبَلِ حِرَاءٍ هُو وأبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزُّبَيْرُ، فتحرَّكَ الجَبَلُ فقال رسولُ الله: «اِهْدَأْ! فما عليكَ إلَّا نبيٌّ أو صِدِّيقٌ أو شَهِيد». وقُتِل طلحةُ ـ رضي الله عنه ـ يومَ الجَمَلِ سَنَةَ سِتٍّ وثلاثين، وهو ابن اثنَتَيْنِ وستين سنة، وقبرُهُ بظاهِرِ البَصْرَةِ؛ انظر سير أعلام النبلاء ١: ٢٣، ومصادره.

(٢) السَّيف المُنْصَلِتُ: الصَّقيلُ الماضي.

(٣) المغبون: مِن قولِهم: غَبِنَ فلانٌ عَنْ رأيِهِ إذا ضَعُفَ؛ يُقال: فلانٌ مغبونٌ في الرَّأيِ والدِّينِ، والعَقْل.

٣ يا طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ قَدْ وَجَبَتْ   لَكَ الجِنانُ وتَزْوِيجُ الدُّمى العِينِ (١)



---

(١) الدُّمى: جمع الدُّمْيَة، وهي التِّمْثالُ مِنَ العاجِ ونَحْوِه، ويُقالُ للمرأةِ: الدُّمية، على التَّشبيه؛ ويريدُ بها الحُورَ العِينَ في الجِنان.

والعِينُ: جَمْعُ العَيْناء، وهيَ المرأةُ الواسعةُ العَيْنِ.

[٥]

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَرْثِي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :[1]

[من الوافر]

١ أَجِدَّكَ مَا لِعَيْنِكَ لَا تَنَامُ — كَأَنَّ جُفُونَهَا فِيهَا كِلَامُ[2]

٢ لِأَمْرِ مُصِيبَةٍ عَظُمَتْ وَجَلَّتْ — وَدَمْعُ الْعَيْنِ أَهْوَنُهُ انْسِجَامُ[3]

٣ فُجِعْنَا بِالنَّبِيِّ وَكَانَ فِينَا — إِمَامَ كَرَامَةٍ نِعْمَ الْإِمَامُ

٤ وَكَانَ قِوَامَنَا وَالرَّأْسَ فِينَا — فَنَحْنُ الْيَوْمَ لَيْسَ لَنَا قِوَامُ[4]

٥ نَمُوجُ وَنَشْتَكِي مَا قَدْ لَقِينَا — وَيَشْكُو فَقْدَهُ الْبَلَدُ الْحَرَامُ

---

(١) وردت الأبيات : ٣ ، ٤ ، ٥ ، ١٧ ، ١١ ، ١٣ في أنساب الأشراف ١ : ٥٩٢ ، و البيت الأوّل في جمهرة أشعار العرب ١ : ٤٠ ، والشّطر الثاني من الثاني في النّهاية في غريب الحديث ٢ : ٣٤٤ واللّسان (سجم) ، و البيت الثامن في دلائل النبوّة - لأبي نعيم ٢ : ٨١٦ ، وتاريخ دمشق ١ : ٣٠٣ (بتحقيق نشاط الغزاوي) ، و البيتان ١١ ، ١٢ في المواهب اللّدُنِّيَّة ٢ : ٢٧٧ ، والسّيرة النّبويّة - لدحلان ٣ : ٣٢٨ .

(٢) أَجِدَّكَ : مَعْنَاهُ : أَبِجِدٍّ هذا منكَ ، أو : مالَكَ ، أَجِدًّا مِنْكَ ؟ أو أنَّه يستَحْلِفُ نَفْسَهُ . والكِلَامُ : جمع الكَلْمِ ، وهو الجُرْحُ .

(٣) في النّهاية في غريب الحديث ، واللّسان : « ... سِجامُ » .
وأَهْوَنُه : أي أَقَلُّه . وانْسَجَمَ الدَّمْعُ انسجامًا ، وسَجَمَ سُجُومًا وسِجامًا : سالَ .

(٤) قِوامُ الأَمْرِ : عِمادُه .

٦ كأنَّ أنوفَنا لاقَيْنَ جَدْعاً ... لِفَقْدِ مُحَمَّدٍ فيهِ اصْطِلامُ [١]

٧ لِفَقْدِ أغَرَّ أَبْيَضَ هاشِمِيٍّ ... تَمامِ نُبُوَّةٍ وَبِهِ الخِتامُ [٢]

٨ أمينٍ مُصْطَفىً لِلْخَيْرِ يَدْعُو ... كَضَوْءِ البَدْرِ زايَلَهُ الظَّلامُ [٣]

٩ سَأَتْبَعُ هَدْيَهُ مادُمْتُ حَيّاً ... طَوالَ الدَّهْرِ ماسَجَعَ الحَمامُ [٤]

١٠ أَدِينُ بِدِينِهِ وَلِكُلِّ قَوْمٍ ... تَراهُمْ مِنْ ذُؤابَتِهِ نِظامُ [٥]

١١ فَقَدْنا الوَحْيَ مُذْ وَلَّيْتَ عَنّا ... وَوَدَّعَنا مِنَ اللهِ الكَلامُ

---

(١) في الأصل: «... لاقَيْنَ جَزْعاً ...» تحريف.
والجَدْعُ: قَطْعُ الأنف. والاصطلام: قَطْعُ الأنْفِ مِن أَصْلِهِ.

(٢) الأغَرّ: الأبيض، والكريم الأفعال، والشّريف. وقوله: «تمام نبوّة» أي به تَمَّتِ النُّبُوّات وخُتِمَتْ.

(٣) زايَلَهُ: فارَقَهُ.

(٤) الطَّوالُ: مَدَى الدّهر. وسَجْعُ الحَمامِ: تَرْديدُ صَوْتِهِ.
والعَرَبُ تقول: سأفْعَلُ كذا ماسَجَعَ الحَمامُ، وما حَنَّتِ الإبِلُ، ونحو ذلك، أي: أبَدَ الدّهر.

(٥) ذُؤابَةُ الشَّرَفِ، وذؤابةُ كلِّ شَيْءٍ: أعلاه.

١٢ سِوَى مَا قَدْ تَرَكْتَ لَنَا رَهِيناً ... تَوَارَثُهُ الْقَرَاطِيسُ الْكِرَامُ [(١)]

١٣ فَقَدْ أَوْرَثْتَنَا مِيرَاثَ صِدْقٍ ... عَلَيْكَ بِهِ التَّحِيَّةُ وَالسَّلَامُ

١٤ مِنَ الرَّحْمَنِ فِي أَعْلَى جِنَانٍ ... مِنَ الْفِرْدَوْسِ طَابَ بِهَا الْمُقَامُ

١٥ رَفِيقَ أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ فِيهَا ... فَهَلْ فِي مِثْلِ صُحْبَتِهِ نِدَامُ [(٢)]

١٦ وَإِسْحَاقٌ وَإِسْمَاعِيلُ فِيهَا ... بِمَا صَلَّوْا لِرَبِّهِمُ وَصَامُوا

١٧ فَلَا تَبْعَدْ فَكُلُّ كَرِيمِ قَوْمٍ ... سَيُدْرِكُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْحِمَامُ [(٣)]

١٨ كَأَنَّ الْأَرْضَ بَعْدَكَ طَارِفِيهَا ... فَأَشْعَلَهَا بِسَاكِنِهَا ضِرَامُ [(٤)]

---

(١) الرَّهِين: المَرْهُون ، وهو ما وُضِعَ عندَكَ لِيَنُوبَ مَنَابَ ما أُخِذَ منكَ ؛ وأرادَ بِهِ القرآنَ الكريم. و«تَوَارَثُهُ» أصلُهُ : تَتَوَارَثُهُ ، حُذِفَتْ إحدى التَّاءَيْنِ استثقالاً لِتَواليهما . والقَرَاطِيسُ : جَمْعُ القِرْطَاسِ، وهُوَ الصَّحِيفَةُ.

(٢) نَادَمَهُ نِدَاماً : جالَسَهُ على الشَّرابِ ، هذا هو الأَصْلُ ، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ اللَّفْظُ في كلِّ مُسَامَرَةٍ .

(٣) قولُه : « لا تَبْعَدْ » دعاءٌ له ، والبُعْدُ : الهَلَاكُ . والحِمَامُ : المَوْتُ .

(٤) في الأصل : « ... ... سباكنها ضرام » تحريف.
والضِّرَامُ : ما اشْتَعَلَ مِنَ الحَطَبِ .

[٦]

وَقَالَ رَضِيَ ٱللهُ عَنهُ يَرثِي ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ:[1]

[من المتقارب]

١ أيا عَيْنُ جُودِي وَلا تَسْأَمِي ... وَحُقَّ البُكَاءُ عَلَى السَّيِّدِ[2]

٢ عَلَى ذِي الفَوَاضِلِ والمَكْرُمَاتِ ... وَمَحْضِ الضَّرِيبَةِ والمَحْتِدِ[3]

٣ عَلَى خِنْدِفِ القَوْمِ عِنْدَ البَلا ... ءِ أَمْسَى يُغَيَّبُ فِي مُلْحَدِ[4]

---

(١) وردت الأبيات ١، ٣، ٤، ٥، ٦ في طبقات ابن سعد ٢: ٣١٩، ولم يَرِد البيت السادس في الأصل المخطوط، فاستدركته عن طبقات ابن سعد بين معقوفتين.

(٢) في طبقات ابن سعد: «يا عَيْنُ فابْكِي...» وفيه خَرْمٌ، وهو أن تذهب الحركة الأولى من التفعيلة (فَعُولُنْ) في أول البيت فتصبح (عُولُنْ).

ولا تَسْأَمي: لا تَمَلِّي. وحُقَّ: وَجَبَ.

(٣) مَحْضُ الضَّرِيبة: خَالِصُ السَّجِيَّةِ والطَّبيعة، يُقال: خُلِقَ النَّاسُ على ضَرائبَ شَتَّى، أي على سجايا وطبائعَ مختلفة. والمَحْتِد: الأَصْلُ والطَّبْع.

(٤) في طبقات ابن سعد: «على خَيْرِ خِنْدِفَ عند... المُلْحَدِ»، وهي أعلى من رواية الأصل المخطوط.

وخِنْدِف: هي زوجُ اليأسِ بنِ مُضَرَ بنِ نِزار، وهو لَقَبٌ لها، مأخوذٌ من الخَنْدَفَةِ، وهي مِشْيَةٌ كالهَرْوَلَةِ، فكأنَّه أرادَ بقوله: «خِنْدِفِ القومِ» المِقْدامَ فيهم، وقوله: «على خير خندف» أي على خيرِ أبناءِ خِنْدِف.

والمُلْحَدُ: القَبْرُ ذو اللَّحْدِ، وهو الشَّقُّ يكون في عُرْضِ القَبْرِ، فإن لم يكن في القبر لَحْدٌ فهو ضَرِيح، وقد دُفِنَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم في قَبْرٍ مَلْحُود، انظر السيرة النبوية - لابن هشام ٤: ٣١٣-٣١٤.

٤ فَصَلَّى الإِلَهُ إِلَهُ الْعِبَادِ وَأَهْلُ الْبِلادِ عَلَى أَحْمَدِ[1].

٥ فَكَيْفَ الإِقَامَةُ بَعْدَ الْحَبِيـ... ...ـبِ بَيْنَ الْمَحَافِلِ وَالْمَشْهَدِ[2]

٦ [فَلَيْتَ الْمَمَاتَ لَنَا كُلِّنَا وَكُنَّا جَمِيعًا مَعَ الْمُهْتَدِي]

---

(١) في طبقات ابن سَعْد: «فصلّى المَلِيكُ وَلِيُّ العِبادِ وربُّ البلادِ...».

(٢) في طبقات ابن سَعْد:

فَكَيْفَ الحَيَاةُ لِفَقْدِ الحَبِيبِ وزَيْنِ المَعاشِرِ في المَشْهَدِ

والمحافِل: جَمْعُ المَحْفِل، وهو مُجْتَمَعُ النّاسِ ومَحْضَرُهم؛ ومثله المَشْهَد.

[٧]

وقال رضي الله عنه يبكي النبي صلى الله عليه وسلم :[1]

[من الكامل]

١ لَمَّا رَأَيْتُ نَبِيَّنَا مُتَحَمِّلاً ضَاقَتْ عَلَيَّ بِعَرْضِهِنَّ الدُّورُ[2]

٢ أَوْهَيْتُ قَلْبِي عِنْدَ ذَاكَ بِهُلْكِهِ وَالْعَظْمُ مِنِّي مَا حَيِيتُ كَسِيرُ[3]

٣ أَعُيَيْشُ وَيْحَكِ إِنَّ حِبِّي قَدْ ثَوَى فَأَبُوكِ مَهْصُوصُ الْجَنَاحِ ضَرِيرُ[4]

---

(١) وردت هذه المقطّعة في طبقات ابن سعد ٢ : ٣٢٠ ، والمواهب اللّدُنّيّة ٢ : ٢٧٦ ، والسّيرة النّبويّة - لدحلان ٣ : ٣٢٩ .

(٢) في سائر المصادر : «... متجندلاً ...» .

(٣) في طبقات ابن سعد :

وَارْتَعْتُ رَوْعَةَ مُسْتَهامٍ وَالِهٍ والْعَظْمُ مِنِّي وَاهِنٌ مَكْسُورُ

وفي المواهب اللّدُنّيّة ، والسّيرة النّبويّة - لدحلان : « فارتاعَ قلبي ... » . وفي الأصل المخطوط : « أوهشت » تحريف .

وأَوْهَيْتُ قلبي : وَجَدْتُهُ واهياً ، أي ضعيفاً . وقوله : « بِهُلْكِهِ » أي : بسبب هُلْكِهِ ، وهو مَوْتُه .

(٤) في طبقات ابن سعد :

أَعَتِيقُ وَيْحَكَ إِنَّ حِبَّكَ قَدْ ثَوَى وَبَقِيتَ مُنْفَرِداً وَأَنْتَ حَسِيرُ

وفي المواهب اللّدُنّيّة ، والسّيرة النّبويّة - لدحلان :

أَعَتِيقُ وَيْحَكَ إِنَّ حِبَّكَ قَدْ ثَوَى فَالصَّبْرُ عَنْكَ لِمَا لَقِيتَ يَسِيرُ

وقوله : « أُعَيْشُ » نِداءُ ترخيمٍ لِعائشةَ مُصَغَّراً ، والتّصغير هنا للتّرحّم والإشفاق . وحِبّي : حبيبي . وثَوَى : هَلَكَ ، وأقامَ في قبره . ومَهْصُوص الجناح : مكسور الجناح .

وعَتيق : هو اسْمُ أبي بكر رضي الله عنه .

٥ يَا لَيْتَنِي مِنْ قَبْلِ مَهْلَكِ صَاحِبِي غُيِّبْتُ فِي جَدَثٍ، عَلَيَّ صُخُورُ[1]

٦ لِلْمُنْجِدِينَ حَوَائِجٌ مِنْ بَعْدِهِ تَعْيَا بِهِنَّ جَوَانِحٌ وَصُدُورُ[2]

---

(١) في السيرة النّبويّة ـ لدحلان : « ... يهلكُ صاحبي ... ».
والجَدَثُ : القَبْرُ .

(٢) في سائرِ المصادر : « فَلَتَحْدُثَنَّ بَدَائعٌ ... » . وفي المواهب اللَّدُنِّيَّة : « .. جَوارِحٌ ... ».
والمُنْجِدونَ : الآتُونَ مِن نَجْدٍ ، وهي كُلُّ ما ارتفع عن تهامة إلى أرض العراق ؛ وكلُّ ما ارتفع مِن الأرض فهو نجد . وتَعْيَا بهنّ : تعجز عنهنّ .
والجَوانح : جمع الجانحة ، وهُنَّ الضُّلوعُ تحتَ التّرائب ممّا يلي الصَّدْرَ .

و (حوائج) و (جوانح) ممنوعان مِن الصَّرْفِ ، فصرفهما للضَّرورة .

[٨]

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَبْكِي النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1]:

[من البسيط]

١ أَمْسَتْ هُمُومٌ ثِقَالٌ قَدْ تَأَوَّبَنِي ... مِثْلُ الصُّخُورِ عِظَامٌ هَدَّتِ الْجَسَدَا[2]

٢ لَيْتَ الْقِيَامَةَ قَامَتْ عِنْدَ مَهْلِكِهِ ... كَيْلَا نَرَى بَعْدَهُ مَالًا وَلَا وَلَدَا[3]

---

(١) وردت هذه المقطّعة في طبقات ابن سعد ٢: ٣٢٠، إلّا أنّ البيتَ الثالثَ لُفِّقَ منه بيتان، وجاء ترتيب المقطّعة فيه هكذا:

باتت تُأَوِّبُني هموم ... ... (البيت الأوّل)

ياليتني حيث نُبِّئْتُ الغَدَاةَ بِهِ ... قالوا: الرّسولُ قد أمسى ميّتاً فَقَدَا

ليتَ القيامةَ ... ... (البيت الثاني)

وَاللهِ أُثْني عَلَى شَيْءٍ فُجِعْتُ بِهِ ... مِنَ البَرِيَّةِ حَتَّى أَدْخُلَ اللَّحَدَا

كَمْ لِيَ بَعْدَكَ ... ... (البيت الخامس)

كانَ المصفّاءَ في الأخلاق ... ... (البيت الرّابع)

نفسي فِداؤُكَ ... ... (البيت السادس)

ولم يَرِدِ البيتان (٥، ٦) في الأصل، فاستدركتهما عن طبقات ابن سعد، ووضعتهما بين معقوفتين.

(٢) في طبقات ابن سعد:

باتت تُأَوِّبُني هُمُومٌ حُشَّدٌ ... مثل الصخور فأمست هدَّت الجسَدا

وفي الشطر الأوّل نقصٌ أخلّ بالوزن.

و «تَأَوَّبُني» أصلُه: تتأوَّبُني، فحُذِفَتْ إحدى التاءين للتخفيف؛ وتأوَّبَهُ: أتاهُ ليْلاً.

(٣) في طبقات ابن سعد: « ... بعد مهلكه ولا نرى بعده ... ... ».

٣ وَلَسْتُ آسَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ فُجِعْتُ بِهِ ... بَعْدَ الرَّسُولِ إِذْ آمْسَىٰ مَيِّتاً فُقِدَا [١]

٤ كَانَ الْمُصَفَّىٰ مِنَ الآفَاتِ قَدْ عَلِمُوا ... وَفِي الْعَفَافِ فَلا تَعْدِلْ بِهِ أَحَدَا [٢]

٥ [كَمْ لِيَ بَعْدَكَ مِنْ هَمٍّ يُنَصِّبُنِي ... إِذَا تَذَكَّرْتُ أَنِّي لَا أَرَاكَ آبَدَا] [٣]

٦ [نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ مَيْتٍ وَمِنْ بَدَنٍ ... مَا أَطْيَبَ الذِّكْرَ وَالأَخْلَاقَ وَالْجَسَدَا]

---

(١) في طبقات ابن سعد : « واللهِ أُثْنِي ... » ، وانظر الحاشية ذات الرقم (١) من الصفحة السابقة .

و سَهَّلَ همزةَ « أَمْسَىٰ » للضَّرورة ، وأَلقَىٰ حركتَها على الذّال ، فقال : إِذَ آمْسَىٰ .

(٢) في طبقات ابن سعد : « كان المصفّاءَ في الأخلاق ... » تحريف .

(٣) يُنَصِّبُني : يُتْعِبُني . و « لا أَراكَ آبَدَا » أي : لا أَراكَ أَبَداً ، فسهّل الهمزة للضرورة .

[٩]

وقال رضي الله عنه، وتروى هذه القصيدة لصفية بنت عبد المطلب[1]:

[من الخفيف]

١ عينُ جودي فإنَّ ذاكَ شفائي ... لا تملّي من زفرةٍ وبكاءِ[2]

٢ حينَ قالوا: إنَّ الرسولَ قدَ امسى ... ميّتاً، إنَّ ذاك جَهدُ البلاءِ[3]

٣ اندُبي خيرَ من برا اللهُ في الدُّنـ ... ـيا ومَن خصَّه بوحي السَّماءِ[4]

٤ بدموعٍ غزيرةٍ منكِ حتّى ... يقضيَ اللهُ فيكِ حتمَ القضاءِ[5]

٥ ولقد كانَ ما علمتِ وَصُولاً ... ولقد كان رحمةً في سَناءِ[6]

---

(١) لم أقف على من نسبها لصفية - رضي الله عنها.

(٢) قولُهُ: «عينُ» أي: يا عينُ.

(٣) قوله: «قدَ امسى» أصلُهُ: قدْ أمسى، فسهّل همزة القطع وألقى حركتها على الدالِ الساكنة. وجَهْدُ البلاء: الحالةُ الشاقةُ التي تأتي على الرجلِ يختارُ عليها الموتَ ويُفضِّلُه، وفي الحديث: «أعوذ بالله مِن جَهْدِ البلاء».

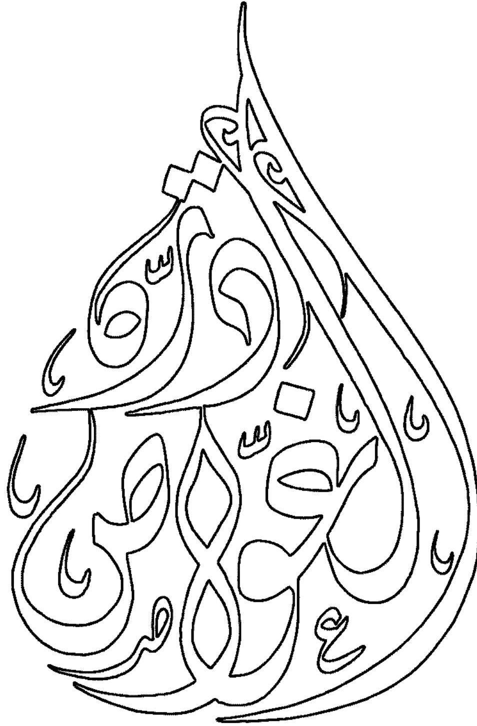
(٤) نَدَبَهُ: بكى عليه وعدَّدَ محاسنَه. وبَرَا اللهُ الخلائقَ: خلقها.

(٥) حَتْمُ القضاء: إيجابُ القضاء، والقضاءُ نفسُه.

(٦) السَّناء: الرِّفعةُ.

٦ وَلَقَدْ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ نُوراً وَسِرَاجاً يُضِيءُ فِي الظَّلْمَاءِ

٧ طَيِّبَ الْعُودِ وَالضَّرِيبَةِ وَالْمَعْـ.....ـدِنِ وَالْخِيمِ خَاتِمَ الأَنْبِيَاءِ(١)



(١) الضَّرِيبَةُ: السَّجِيَّةُ والطَّبِيعَةُ والخَلِيقَة. ومَعْدِنُ الإنسان: أَصْلُه.
والخِيم: السَّجِيَّةُ والطَّبِيعَةُ.

[١٠]

وَقَالَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ :

[مِنَ الرَّمَلِ]

١	رُبَّ رِيحٍ لِأُنَاسٍ عَصَفَتْ	ثُمَّ مَا إِنْ لَبِثَتْ أَنْ سَكَنَتْ (١)
٢	وَكَذَاكَ ٱلدَّهْرُ فِي أَصْنَافِهِ :	قَدَمٌ زَلَّتْ وَأُخْرَى ثَبَتَتْ
٣	بَالِغٌ مَا دُونَهُ ٱسْتِحْقَاقُهُ	وَيَدٌ عَمَّا ٱسْتَحَقَّتْ قَصُرَتْ (٢)
٤	فَتَوَكَّلْتُ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِي	لَمْ تَخِبْ نَفْسٌ عَلَيْهِ ٱتَّكَلَتْ

(١) عَصَفَتِ الرِّيحُ : اشْتَدَّتْ ، وضَرَبَ ذلكَ مَثَلاً .

(٢) استحَقَّ الشَّيْءَ اسْتِحقاقاً : استَوْجَبَه . و «ما» بمعنى : الّذي ، مفعولٌ به لاسم الفاعل «بالغٌ» . و«دونَه» مفعول فيه ظرف مكان متعلّق بالخَبَرِ المقدَّم المحذوف للمبتدأ «استحقاقُهُ» . يقول : ومِنْ أُصنافِ النّاسِ مَنْ بَلَغَ ما يستحقُّ أُقلَّ منه ، ومنهم مَنْ قَصَّرَ عمّا يستحقُّ .

[١١]

وقال رضي الله عنه :

[من الرجز]

١ يَا رُبَّ مَا يُخْشَى وَلَا يَضِيرُ[1]

٢ شَيْئاً وَقَدْ ضَاقَتْ بِهِ الصُّدُورُ

٣ كَمْ مِنْ صَغِيرٍ عَقْلُهُ كَبِيرُ

٤ وَمِنْ كَبِيرٍ عَقْلُهُ صَغِيرُ

٥ وَفِي الْبُحُورِ تَغْرَقُ الْبُحُورُ

٦ وَاللهُ رَبِّي وَاحِدٌ قَدِيرُ

٧ تَجْرِي كَمَا يَشَاؤُهُ الأُمُورُ

٨ لَيْسَ لَهُ فِي فِعْلِهِ مُشِيرُ

٩ وَلَا تُغَيِّرُ كَوْنَهُ الدُّهُورُ[2]

١٠ عَنْ أَمْرِهِ الْمَيْسُورُ وَالْمَعْسُورُ

---

(١) يَضِير : يَضُرّ . والواو في قوله : « ولا يضير » حالية .

(٢) هكذا وَرَدَ البيتُ في الأصل ، وهو مختل الوزن ، ويستقيم وزنه إذا خُفِّفَت الياءُ في قوله : « تُغَيِّر » .

وَقَدْ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الشَّامِ كَمَا كَانَ يَخْرُجُ، فَنَالَتْهُ مَشَقَّةٌ فِي خَرْجَتِهِ تِلْكَ، فَدَخَلَ مَكَّةَ بِوَعْثَاءِ السَّفَرِ[1]، فَلَقِيَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ بَاهِلَةَ[2] فَقَالَتْ: كَدَدْتَ نَفْسَكَ وَأَشْقَيْتَهَا[3]، وَعَجِبَتْ مِنْ بَذَاذَةِ الْحَالِ[4]، فَقَالَ:

[مِنَ الرَّجَز]

١ إِمَّا تَرَيْنِي مَرِهَ الْعَيْنَيْنِ[5]

٢ مُسَفَّعَ الْوَجْنَةِ وَالْخَدَّيْنِ[6]

---

(١) في الأصل: «... بوعساء السَّفر» تحريف.
ووَعْثَاءُ السَّفَرِ: مَشَقَّتُهُ.

(٢) باهلة: قبيلةٌ من العرب، وهم بنو مالكِ بنِ أَعْصُرَ بنِ سَعْدِ بْنِ قَيْسِ عَيْلانَ، وأُمُّهم باهِلَةُ بِنْتُ صَعْبِ بْنِ سَعْدِ العَشِيرَةِ، فَنُسِبُوا إليها؛ جمهرة أنساب العرب: ٢٤٥.

(٣) كَدَدْتَ نَفْسَكَ: شَدَدْتَ عليها، مأخوذٌ مِنَ الكَدِّ، وهُوَ الشِّدَّةُ.

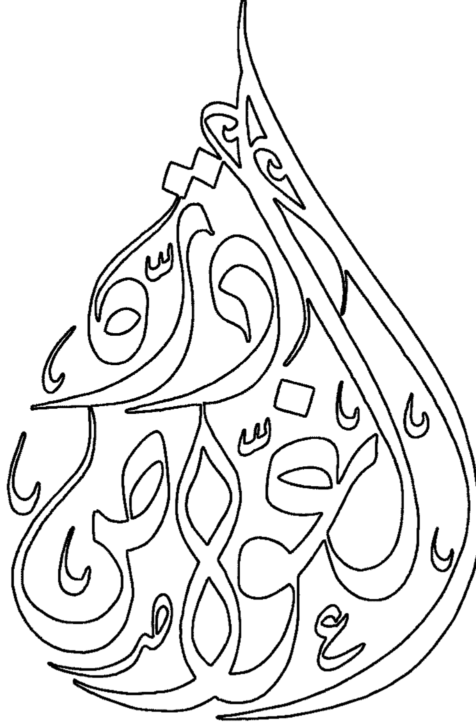
(٤) بَذَاذَةُ الحالِ: سُوءُها.

(٥) مَرِهَتْ عَيْنُهُ: خَلَتْ مِنَ الكُحْلِ، أَوْ فَسَدَتْ لِتَرْكِهِ.

(٦) سَفَعَتْهُ الشَّمْسُ: لَفَحَتْهُ فَغَيَّرَتْ لَوْنَ بَشَرَتِهِ وَسَوَّدَتْهَا.
والوَجْنَةُ: ما ارتفع مِنَ الخَدَّيْنِ.

٣ جَلْدَ القَمِيصِ جَاسِيَ النَّعْلَيْنِ [1]

٤ فَإِنَّمَا المَرْءُ بِالأَصْغَرَيْنِ [2]



---

(١) هكذا ورد البيت في الأصل ؛ والجَلْدُ : الصُّلْب ، كأنَّه يريد أن يقول : خَشِنَ القَمِيص. والجاسي : الصُّلْبُ .

(٢) الأصغران : القلب واللِّسان ؛ وسَهَّل همزةَ «الأَصغرين» للضَّرورة . وقوله : « المرء بالأصغرين » مَثَلٌ عندَ العَرَبِ ، ومعناهُ أنَّ المَرْءَ يَعْلُو الأُمورَ ويَضْبِطُها بِجَنَانِهِ ولِسَانِه.

[١٣]

وقال رضي الله عنه[1]:

[من الطويل]

١ عَجِبْتُ بإزْراءِ العَيِيِّ بنفْسِهِ ... وَصَمْتِ الَّذي قَدْ كانَ بالقَولِ أعْلَما[2]

٢ وَفي الصَّمْتِ سَتْرٌ للعَيِيِّ وَإنَّما ... صَحيفَةُ لُبِّ المَرْءِ أنْ يَتَكَلَّما

---

(١) نُسِبَ البيتان للخَطَفى حُذَيفة بن بَدْر، جَدّ جَرير الشّاعر، في البيان والتبيين ١: ٢٦٦، ومجموعة المعاني: ١٨١، ومعجم الأدباء ١: ٩٠، واللسان (خطف) و (أبي). ونُسِبَا في العقد الفريد ٢: ٦٦ للحسن بن جعفر، ونُسِبا في حماسة البحتري: ٣٦٧ لمالك بن سلمة العبسيّ؛ ووَرَدا في عيون الأخبار ١: ١٧٥ وبهجة المجالس ١: ٦٢ دُونَ نِسبة.

(٢) في مجموعة المعاني، ومعجم الأدباء، واللسان: «لإزراء ...».
وأزرى بنفسه: حَقَّرَها وعابَها. والعَيِيّ: العاجزُ عن البيان عن مقصوده ومُرَادِه.

وَقَالَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ :

[مِنَ الرَّجَزِ]

١ اَلْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى الْإِسْلَامِ

٢ إِنْعَامُهُ مِنْ أَفْضَلِ الْإِنْعَامِ

٣ أَسْكَنَنَا بِالْبَلَدِ الْحَرَامِ

٤ وَٱخْتَصَّنَا بِأَحْمَدَ ٱلتِّهَامِي (١)

٥ فَجَاءَنَا بِصُحُفٍ جِسَامِ (٢)

٦ مِنْ لَدُنِ الْمُهَيْمِنِ الْعَلَّامِ (٣)

٧ فِيهَا بَيَانُ الْحِلِّ وَالْحَرَامِ

٨ لِلنَّاسِ بِالْإِرْضَاءِ وَالْإِرْغَامِ (٤)

٩ وَالْأَمْرِ بِٱلصَّلَاةِ وَٱلصِّيَامِ

---

(١) التِّهَامِيّ : المنسوب إلى تِهَامَةَ ، وهو مِنْ أسماءِ مكّة المكرّمة شرّفها الله .

(٢) الجِسام : جمع الجَسِيم ، والجَسِيمَة ، بمعنى العظيم والعظيمة .

(٣) مِن لَدُنِ المهيمن : مِن عند الله تعالى ؛ والمُهَيْمِنُ مِن أسمائِه الحسنى ، بمعنى المؤمِن الذي آمَنَ غيرَهُ مِن الخوف ، أو بمعنى الأمين أو الشاهد .

(٤) الإرغام : الإكراه .

١٠ وَبِالصِّلَاتِ لِذَوِي الأَرْحَامِ

١١ وَقَدْعِ قَوْمٍ ضِلَّةٍ طَغَامِ[1]

١٢ دِينُهُمُ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ

١٣ وَقَدْ رَأَوْا مِنْ سَفَهِ الأَحْلَامِ[2]

١٤ أَنَّهُمُ مِنْهُ عَلَى اسْتِقَامِ[3]

١٥ وَمَا بِغَيْرِ اللهِ مِنْ قِوَامِ[4]

١٦ وَمَنْ يَرُمْ سِوَاهُ مِنْ مَرَامِ[5]

١٧ يَحَرْ بِهِ عَلَى مَدَى الأَيَّامِ[6]

---

(١) قَدَعَهُ قَدْعاً: كَفَّهُ ومَنَعَهُ، وقَدَعَ الفَحْلَ: إذا ضَرَبَ أنفَهُ حينَ يريدُ أن يَقْعُوَ على النَّاقَةِ، رَغْبَةً عنه، وذلكَ إذا لم يكن فَحْلاً كريماً. والضِّلَّةُ: الضَّلالُ، وَصَفَهم بالمَصْدَرِ للمبالغة. والطَّغَامُ: أَوْغادُ النَّاسِ.

(٢) الأَحلام: العُقول.

(٣) على استقام: على استقامة، فحذف التاءَ للضرورة.

(٤) قِوامُ الأَمْرِ: نِظامُهُ، وعِمادُهُ.

(٥) رامَ الشيءَ يَرُومُهُ: طَلَبَهُ.

(٦) في الأصل: «سحر به على...» ورجّحتُ قراءتَهُ «يَحَرْ»، ويُقْرَأُ: «يَجُرْ...».

ويَحَرْ: جوابُ الشرط في قوله: «ومَنْ يَرُمْ...»؛ يقول: يحارُ مَنْ طَلَبَ سبيلاً غيرَ سبيلِ اللهِ على مَدَى الدَّهرِ. و«بِهِ» بالمَرامِ الذي رامَهُ. وإذا قرأتَ: «يَجُرْ بِهِ...» أي يَجُرِ المَرَامُ بِهِ، أي يَعْدِلْ بهِ عن الصِّراط.

١٨ وَيَصْلَ نَاراً مِنْ حَمِيمٍ حَامِ[1]

١٩ كَمْ نَدَبُوا لِسَيِّدِ الأَنَامِ[2]

٢٠ مِنْ رَامِحٍ وَنَابِلٍ وَرَامِ[3]

٢١ وَجَاسِرٍ يَوْمَ الوَغَى مِقْدَامِ[4]

٢٢ مُثَابِراً عَنْ كُفْرِهِ يُحَامِي[5]

٢٣ مُجَاهِراً لَيْسَ بِذِي اكْتِتَامِ

٢٤ بِاللَّاتِ وَالعُزَّى بِلَا احْتِشَامِ

٢٥ حَتَّى إِذَا كَانُوا مِنَ الْتِئَامِ[6]

٢٦ كَخَرَزٍ جُمِعْنَ فِي نِظَامِ[7]

---

(١) الحميمُ: الماء الحارّ • وصَلِيَ النّارَ: قاسى حَرَّها.

(٢) نَدَبَهُ إلى الأمْرِ: وَجَّهَهُ، وحَثَّهُ.

(٣) الرّامِحُ: ذو الرُّمْحِ. والنّابِلُ: ذو النَّبْل.

(٤) الجاسِر: الشّجاع. والوَغى: الصَّوْتُ والجَلَبَةُ في الحَرْب.

(٥) قوله: «مثابِراً» هكذا وَرَدَ منصوباً، ولَهُ وَجْهٌ، وهوكَوْنُهُ حالاً مِن فاعِلِ الفِعْلِ «يُحامي».

(٦) الْتَأَمَ القَوْمُ الْتِئاماً: اجتمعوا واتَّصَلوا.

(٧) النِّظام: الخيط يُنْظَم بِهِ الخَرَزُ واللُّؤلُؤُ ونَحْوُهما.

٢٧ رَمَاهُمْ بِحَمْزَةَ الْهُمَامِ[(١)]

٢٨ وَابْنِ أَبِي طَالِبٍ الضِّرْغَامِ[(٢)]

٢٩ الْبَاتِرِ الْمُهَنَّدِ الصَّمْصَامِ[(٣)]

٣٠ ذِي الْفَضْلِ وَالْمَجْدِ الرَّفِيعِ السَّامِي

٣١ فَأُولِمُوا بِأَوْجَعِ الْإِيلَامِ[(٤)]

٣٢ وَأُحْكِمُوا بِأَقْبَحِ الْإِحْكَامِ[(٥)]

٣٣ وَأَصْبَحَتْ خَطْرَةُ الْاقْتِسَامِ[(٦)]

---

(١) حَمْزَة: هو ابنُ عبد المطّلب، عمُّ النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم. والهُمام: السّيِّد الشجاع السّخِيّ.

(٢) ابنُ أبي طالب: يريد عليّاً ابنَ عمِّ النبيِّ وصِهْرَه. والضِّرْغام: الأسد.

(٣) الباتر: القاطع. والمهنّد: السّيف المشحوذ. والصَّمْصام: السّيف الّذي لا ينثني.

(٤) أُولِمُوا: أُوجِعُوا، وأصله: أُؤْلِمُوا، بوزن أُفْعِلُوا، فأُعِلَّت الهمزة الثّانية، وقُلِبَتْ واواً، استثقالاً لالتقاء الهمزتين في كلمة واحدة.

(٥) أَحْكَمَهُ: مَنَعَهُ عمّا يريدُ، ورَدَّهُ.

(٦) الخَطْرَةُ: ما يَخْطُرُ في القلب. والاقتسام: أَنْ يأْخُذَ كلُّ رَجُلٍ نصيبَه من الشّيء المُقْتَسَم. وأرى في البيت تحريفاً، والصّواب فيه: «وأصبحتْ حُظْوَةُ الاقتسامِ. بخيرِ ما كهلٍ......» والحُظْوَة: المكانَةُ، والحظُّ من الرّزق؛ يُريدُ أنَّ الله تعالى قَسَمَ للنّبيِّ عليه السّلامُ المكانَةَ العاليةَ.

٣٤ بِخَيْرِ مَا كَهْلٍ وَمَا غُلَامِ[1]

٣٥ صَلَّىٰ عَلَيْهِ ٱللَّهُ مِنْ إِمَامِ

٣٦ وَخَصَّهُ بِأَفْضَلِ ٱلسَّلَامِ

٣٧ وَقُلْتُ عِنْدَ مُنْتَهَى ٱلْكَلَامِ

٣٨ سُبْحَانَ رَبِّي وَبِهِ ٱعْتِصَامِي

---

(١) قوله : « بخيرِ ما كَهْلٍ وما غلامٍ » أي : بخَيْرِ كَهْلٍ وغلامٍ ، و« ما » زائدةٌ في الموْضِعَيْنِ .

[١٥]

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَوْمَ حُنَيْنٍ[1]:

[مِنَ المَدِيدِ]

حِينَ وَلَّى النَّاسُ وَانْخَذَلُوا   هَرَبًا وَاحْمَرَّتِ الحَدَقُ[2]

---

(١) كانت غزوةُ حُنَيْنٍ في السّنة الثّامنة بعد الهجرة، وذلكَ بعدَ فتحِ مكّة، حينَ جُمِعَتْ قبائلُ هَوَازِنَ وثَقِيفٍ لرسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم لمّا سَمِعَت بما فَتَحَ اللهُ مِن مكّةَ عليه، فأجمع النبيّ لهم ليَلْقاهم، ومعه ألفان مِن أهل مكّة وعَشرة آلاف مِمَّن فتحَ اللهُ بهم مكّة، فكانوا اثْنَيْ عَشرَ ألفاً. فلمّا استقبل المسلمونَ وادِيَ حُنَيْنٍ وانْحَدَرُوا فيه في عَمَايَةِ الصُّبحِ وظلامِه - وكانَ المشركونَ قد سبقوهم إلى الوادي وكَمَنُوا لهم في شِعابِهِ ومَضَايِقِهِ وتهيّؤوا وأعَدّوا العُدّة - فما راعَ المسلمينَ وهم يَنْحَدِرون إلا كتائبُ المشركين وقد شَدّوا عليهم شَدّةَ رَجُلٍ واحِدٍ، فانْشَمَرَ المسلمون وانهزموا راجِعين لا يَلْوِي أحَدٌ على أحَدٍ؛ قالَ ابنُ إسحاق: «وانحازَ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم ذاتَ اليمين، ثمّ قال: أيْنَ أيّها النّاس؟ هَلُمُّوا إليّ، أنا رسولُ اللهِ، أنا محمّدُ بن عبد الله. قال: فلا شيءَ؛ حَمَلَتِ الإبلُ بعضُها على بعض، فانطلق النّاسُ، إلّا أنّه بقِيَ مَع رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم نفرٌ مِن المهاجرين والأنصارِ وأهلِ بيته، وَفيمَنْ ثبت معه من المهاجرين: أبو بكر وعمر، ومِن أهلِ بيته: عليّ ابن أبي طالب، والعبّاس بن عبد المطّلب...»، ثمّ أمرَ رسولُ اللهِ عمّه العبّاسَ - وكانَ جهيرَ الصَّوْتِ جسيماً - أن يصرخَ: يا معشرَ الأنصار، يا معشرَ أصحاب السَّمُرَةِ، فأجابوا: لبّيكَ لبّيكَ، فاجتمع إليه منهم نحو مئةٍ، فاستقبلوا النّاسَ واقْتَتَلُوا، فأشرف النبيّ في رَكائبِهِ ونظر إليهم وهم يجتلدونَ، فقال: الآنَ حَمِيَ الوَطِيسُ، ورجع مَنْ فَرَّ مِنَ المسلمين؛ ثمّ مَنَّ اللهُ عليهم بالنّصر، وغَفَرَ لِمَنْ فَرَّ مِن المعركة يومئذٍ. انظر السيرة - لابن هشام ٤: ٨٠-١٠١.

وفي الأبياتِ ذِكرٌ لِثَباتِ النبيّ عليه السّلام وثقته بنصر الله يوم حنين.

(٢) قوله: «احمرّت الحَدَقُ» كنايةٌ عن الخوف، أو عن الغَضَبِ والتَّهيّؤ للقتال.

٢ شَدَّ كَاللَّيْثِ الْهِزَبْرِ وَقَدْ عَظُمَ الْأَشْجَانُ وَالْقَلَقُ(١)

٣ لَمْ يَخِبْ إِذْ شَدَّ جَمْعُهُمُ وَالْقَنَا إِذْ ذَاكَ تَأْتَلِقُ(٢)

٤ وَسُيُوفٌ فِي أَكُفِّهِمُ كَحِمَامِ الْمَوْتِ تَصْطَلِقُ(٣)

٥ فَتَوَلَّوْا بَعْدَ مَا طَمِعُوا وَبِغَيْرِ اللَّهِ مَا انْطَلَقُوا(٤)

---

(١) اللَّيثُ: الأَسَد. والهِزَبْرُ: مِن أَسماء الأَسَد. والأَشجان: جمع الشَّجَنِ، وهو الهَمُّ، والحَزَن.

(٢) القَنا: جمع القناة، وهي الرُّمح. وتأتَلِقُ: تَلْتَمِعُ، يعني أَسِنَّةَ الرِّماح.

(٣) الحِمام: قضاء المَوْتِ وقَدَرُه. وتصطلق: تَضْطَرِب، مأخوذٌ مِن قولهم: صَلَقَهُ بالعَصَا إذا ضَرَبَهُ؛ وأَصْلُ الفِعْلِ (تَصْتَلِق) على وزن (تَفْتَعِل)، فأُبْدِلَت التاءُ طاءً، لأنَّ فاءَ الفِعْلِ هِيَ الصَّادُ، والعَرَبُ تُبْدِلُ تاءَ الافتعال طاءً إذا كانت فاؤُه صاداً أو ضاداً أو طاءً أو ظاءً، فتقول: يَصْطَلِق ويَضْطَرِب ويَطَّلِعُ ويَظْطَلِمُ، مِن صَلَقَ وضَرَبَ وطلع وظلم.

(٤) في الأصل: «... وبعين اللهِ ...» تحريفٌ لا يستقيم به المعنى.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ يُخَاطِبُ أَهْلَ الإِفْكِ[1]:

(١) الإِفْكُ: الكَذِبُ.

وكانَ خَبَرُ الإِفْكِ في سنة سِتٍّ للهجرة، بعدَ غزوة بني المصطلق، يومَ نَزَلَ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم وجيشُ المسلمين منزلاً قريباً من المدينة في طريق عودته من تلكَ الغَزاة، فخَرَجَتِ السَّيِّدة عائشة رضي الله عنها مِن هَوْدَجِها لبعضِ حاجتها وفي عنقها عِقْدٌ لها، فلمّا توجّهت عائدةً إلى الهودَجِ افتَقَدَتْ عِقْدَها فرَجَعَت إلى مكانها الذي ذهبت إليه، فالتَمَسَتْهُ حتّى وَجَدَته، وفي أثناء ذلكَ أمَرَ رسولُ اللهِ النّاسَ بالرّحيل، فلمّا رَجَعَتْ إلى المنزل لم تجد فيه أحَداً، فجلَسَت مكانَها لِعِلْمِها أنّهم سيرجِعون إليها حين يفتقدونها، وكان صفوانُ بنُ المُعَطَّل السُّلَمِيّ رضي الله عنه مُتَخَلِّفاً عن الجيش في ساقَتِه يلتقط ما يسقط مِن مَتاع المسلمين حتّى يأتيَهم به، فرأى سوادَ أُمِّ المؤمنين عائشةَ، فأقبل حتّى وَقَفَ عليها، فعَرَفَها فقال: إنّا للهِ وإنّا إليه راجِعون، ظَعينَةُ رَسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم؟! فقرّب بعيرَه، فرَكِبَتْ وأخَذَ برأسِ البعيرِ وانطَلَقَ سريعاً، ولم يَفتَقِدْها رَكْبُ رسول الله حتّى أصْبَحوا، فإذا الرّجُلُ يقودُ بَعيرَهُ بِها، فتحدّثَ أهْلُ الإفكِ وقالوا ما قالوا، وكانَ الذي تولّى كِبْرَ هذا الحديثِ وإثْمَهُ رأسُ المنافقينَ عَبْدُ اللهِ ابن أُبَيّ، وذلكَ في خبرٍ طويلٍ رواه ابن هشام في السيرة ٣: ٣٠٩-٣١٥ عن ابن إسحاق بسَنَدِه إلى السَّيِّدَة عائشة.

ثمّ أنزلَ اللهُ تعالى آياتٍ مِن كِتابِه يُبَرِّئُها فيها؛ وكانَ فيمَنْ أشاعَ الحديثَ وجَهَرَ بِهِ مِسْطَحُ بن أُمِّ مِسْطَحٍ بنت أبي رُهْمٍ ابن المطّلب بن عبد مناف، وأمّ مِسْطَحٍ هي ابنةُ خالة أبي بكرٍ رضي الله عنه، وكانَ أبو بكر يُنفِقُ على مِسْطَحٍ لِقَرابَتِهِ وحاجته، فلمّا نزل القرآن بتبرئة عائشةَ آلى أبو بكر ألّا يُنْفِقَ عليه شيئاً أبَداً، فأنزلَ اللهُ تعالى في ذلكَ: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ⇐

[مِن البَسيط]

١ يَا عَوفُ وَيْحَكَ هَلَّا قُلْتَ عَارِفَـةً	مِنَ الْكَلَامِ وَلَمْ تَتْبَعْ بِهِ طَبَعَـا (١)
٢ أَوْ أَدْرَكَتْكَ حُمَيَّا مَعْشَرٍ أُنُفٍ	وَلَمْ تَكُنْ قَاطِعًا يَا عَوْفُ مُنْقَطِعَا (٢)
٣ أَمَا حَزِنْتَ مِنَ الأَقْوَامِ إِذْ حَسَدُوا	مِنْ أَنْ تَقُولَ وَقَدْ عَايَنْتَهُ قَرَعَا (٣)
٤ لَمَّا رَمَيْتَ حَصَانًا غَيْرَ مُقْرِفَةٍ	أَمِينَةَ الْجَيْبِ لَمْ تَعْلَمْ بِهِ خَضَعَا (٤)

﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ فقال أبو بكرٍ : بلى واللهِ إنّي أُحِبّ أن يغفرَ اللهُ لي ، فَرَجَعَ إلى مِسْطَحٍ نَفَقَتَهُ التي كان يُنْفِق عليه . ومِسْطَح لَقَبٌ ، واسْمُهُ عَوْفٌ ، والخِطابُ في هذه الأبيات مُوَجَّهٌ إليه .

(١) العارِفة : المعروف . والطَّبعُ : الدَّنِيءُ الخُلُقِ ، وأرادَ بهِ عبدَاللهِ بنَ أُبَيّ رأسَ المنافقين .

(٢) الحُمَيّا : شِدّة الغَضَب ، وأوّلُه . والأُنُفُ : جمع الآنِفِ ، وهو الذي يأْنَفُ أنْ يُضامَ .

(٣) هكذا وردَ البيت ، ولم أهتَدِ إلى معناه ، ولا شكّ في أنّ تحريفاً أصابَه .

(٤) في الأصل : « لما رأيت ... » تحريف ، صوابُه ما أثبتُّ بدليلِ ما جاء في البيت التالي .
والحَصانُ : العفيفة . وغيرُ مُقْرِفة : أَصيلة غير هجينة . والجَيْبُ : طَوْقُ القميص ، وقوله : « أمينة الجيب » كناية عن العَفاف والطُّهْر .
والخَضْعُ : إلانَةُ الحَديثِ بما يُطمِع الرِّجالَ بالمرأة ، قال تعالى يخاطب نساء النبيّ : ﴿ وَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ ، وحَرَّكَ الضادَ في قوله : « خَضَعاً » للضَّرورة .

٥ فِيمَنْ رَمَاهَا وَكُنْتُمْ مَعْشَراً أُفُكاً   مِنْ سَيِّئِ الْقَوْلِ فِي اللَّفْظِ الْخَنَا سُرُعَا[1]

٦ فَأَنْزَلَ اللهُ قُرْآناً يُبَرِّئُهَا   وَبَيْنَ عَوْفٍ وَبَيْنَ اللهِ مَا صَنَعَا

٧ فَإِنْ أَعِشْ أَجْزِ عَوْفاً عَنْ مَقَالَتِهِ   شَرَّ الْجَزَاءِ بِمَا أَلْفَيْتُهُ طَبَعَا[2]

---

(١) الأُفُكُ : جمع الأَفوك ، وهو الكاذِب . والخَنا : اللَّفظ الفاحِش .

(٢) طَبَعَ عِرْضَ الرَّجُلِ : دَنَّسَهُ وشانَهُ .

وقال رضي الله عنه :

[من الطويل]

١ عَرَفْتُ دِيَاراً بِالْحِمَى فَشَرَائِثِ ... تَعَفَّتْ فَدَمْعُ الْعَيْنِ لَيْسَ بِرَائِثِ (١)

٢ عَفَتْهُنَّ هُوجُ الضَّرَّتَيْنِ فَأَصْبَحَتْ ... تَبَلَّدُ مَا بَيْنَ الْكُدَى وَالْكَثَاكِثِ (٢)

٣ وَصَبَّ عَلَيْهَا الْغَيْثَ كُلُّ مُجَلِّلٍ ... هَزِيمٍ كُلَاهُ مُعْمَلٌ غَيْرُ رَائِثِ (٣)

٤ أَلَا أَبْلِغِ الْأَقْوَامَ عَنِّي أَلِيَّةً ... أَلِيَّةَ بَرٍّ صَادِقٍ غَيْرِ حَانِثِ (٤)

---

(١) شرائث والحمى : اسْمَا مَوْضِعَيْن . وتَعَفَّتْ : درسَتْ وامَّحَتْ آثارُها . والرائث : المُبْطِئ .

(٢) الهُوج : جمع الهَوْجاء ، وهي الرّيح تَقْلَعُ البُيوت . والضَّرَّتان : أرادَ بهما رِيحَيْن متقابلتَيْن ، كالصَّبا - وهي التي تَهُبُّ من الشرق - والدَّبور التي تهبّ من الغرب ؛ على التشبيه بالضَّرَّتَيْن من النِّساء . وتَبَلَّدُ : أصله تَتَبَلَّدُ ، فحُذِفَ إحدى التاءَيْن للتخفيف ؛ والتَّبَلُّدُ ، لُغَةً : ضِدُّ التَّجَلُّد ، والسُّقوطُ إلى الأرض ، يريد أنّ آثارَها أصبحت تذهَبُ شيئاً فشيئاً . والكُدى : جمع الكُدْيَة ، وهي الأرض الغليظة ، والصّخرة العظيمة الشّديدة . والكَثاكث : جمع الكَثْكَث ، وهو التّراب ، وفُتاتُ الحجارة .

(٣) المُجَلِّل : السّحاب الذي يُجَلِّلُ الأرضَ بالمطر ، أي يَعُمُّها ؛ وفي حديث الاستسقاء قولُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في دعائه : « ... وَابِلاً مُجَلِّلاً ... » أي يُجَلِّل الأرضَ بمائه أو بنباته . والهَزيم : السّحاب الذي لِرَعْدِه صَوْتٌ فيه تَشَقُّق . وكُلى السّحاب : أسفله . وغير رائث : غير مُتَمَهِّل .

(٤) الأَلِيَّة : اليمين . والحانِث : الذي لا يَفِي بيمينه .

٥ بأنَّ رَسُولَ ٱللهِ أَحْمَدُ صَادِقٌ ... لأَرْسَلَهُ ٱلرَّحْمٰنُ أَكْرَمُ وَارِثِ (١)

٦ أَلَا فَابْحَثُوا عَنْهُ تُلَاقُوا بَحْثَكُمْ ... عَنِ المُصْطَفَى المَبْعُوثِ خَيْرِ المَبَاحِثِ

٧ وَلَا تَعْبَثُوا فِيمَا تُرِيدُونَ قَصْدَهُ ... فَلَنْ يُرْشِدَ ٱلرَّحْمٰنُ قَصْداً لِعَابِثِ

٨ هَدَانَا بِهِ ٱلرَّحْمٰنُ مِنْ فِتَنِ ٱلرَّدَى ... وَأَنْقَذَنَا مِنْ هَوْلِ تِلْكَ الهَنَابِثِ (٢)

٩ وَكَمْ وَعَدَ الأَقْوَامَ مُوسَى بِبَعْثِهِ ... وَكَمْ قَالَ عِيسَى إِنَّهُ غَيْرُ لَابِثِ (٣)

١٠ مُحَمَّدٌ المُخْتَارُ أَكْرَمُ مُرْسَلٍ ... وَأَصْدَقُ مَبْعُوثٍ لأَكْرَمِ بَاعِثِ (٤)

١١ مُصَدِّقُ كُتْبِ الأَنْبِيَاءِ وَرَاءَهُ ... فَكَذَّبَهُ أَبْنَاءُ تِلْكَ الطَّوَامِثِ (٥)

---

(١) في الأصل: «... لارساله الرحمن ...» تحريف واللّام في قوله: «لأَرْسَلَهُ» هي لامُ القَسَم.

(٢) الهَنَابِث: جمع الهَنْبَثَة، وهي الأَمْرُ الشَّدِيدُ.

(٣) غير لابث: غير مُبْطِئ.

(٤) أَكْرَم باعِث: هو اللهُ تعالى.

(٥) قوله: «مصدّق كتب الأنبياء وراءه» أي الأنبياء الذين جاؤوا قبله وأمامه، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً﴾ أي: وكان أمامهم. والطّوامث: جمع الطّامث، وهي المرأة الحائض.

١٢ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنْ قَدْ أَتَى بِصَلَاحِهِمْ ... وَرَدِّ أُمُورٍ قَدْ خَلَوْنَ مَشَاعِثِ (١)

١٣ فَأَوْرَدَهُمْ مَاقَدْ أَبَوْهُ مَوَارِدًا ... وِبَاءً وَأَرْعَاهُمْ وِخَامَ الْمَرَامِثِ (٢)

١٤ هَدَانَا بِهِ اللهُ الْعَلِيُّ مَكَانَهُ ... وَأَنْقَذَنَا مِنْ مُوبِقَاتِ الْخَبَائِثِ (٣)

١٥ وَزَكَّى لَنَا حَتَّى صَفَتْ أَطْعِمَاتُنَا ... فَلَمْ نَلْتَبِسْ بِالْمُرْجِسَاتِ الْعَثَائِثِ (٤)

١٦ فَكَانَ سِرَاجًا لِلْإِلَهِ وَرَحْمَةً ... يُخَلَّدُ فِي تِلْكَ الْجِنَانِ الْمَوَاكِثِ

١٧ فَلَيْتَ رَسُولَ اللهِ يَمْكُثُ بَيْنَنَا ... سَلِيماً، وَلَمْ نَسْمَعْ سِوَاهُ بِمَاكِثِ (٥)

١٨ عَلَيْكَ سَلَامٌ، كَمْ نَقَعْتَ ظِمَاءَنَا ... بِرِيٍّ وَكَمْ أَشْبَعْتَنَا مِنْ مَغَارِثِ (٦)

---

(١) الأُمورُ المَشَاعِثُ: المنتشرة المتفرِّقة.

(٢) في الأصل: «..مواردًا وباؤوا وأرعاهم...» تحريف.
وماقد أَبَوْهُ: ماقد كرهوه. والوِباءُ: جمع الوَبِيءِ، وهو الوَخيم ذو الأمراض. والوِخام: جمع الوَخيم، وهو المرعى الذي لا يُسْتَمْرَأُ كَلَؤُهُ.
والمَرَامِث: جمع المَرْمَثَة، وهي الأرض التي تُنْبِتُ الرِّمْثَ، وهو نبات تُحَمَّض به الإبل؛ وقوله: «أوردهم مَوارِداً وِباءً» وقوله: «أرعاهم وِخامَ المَرَامِثِ» استعارتان، وأراد أنهم ساءت عاقبتهم. وصَرَفَ كلمة (الموارد) للضرورة.

(٣) الموبِقات: المُهْلِكات.

(٤) زكّى من ماله، أخرج منه شيئاً ليُطَهِّرَهُ به، ودفعه إلى مُسْتَحِقِّيه.

(٥) يَمْكُثُ: يَلْبَثُ ويُقيم.

(٦) نَقَعَ الماءُ العَطَشَ: أذهبه وسكّنه. والرِّيُّ: الارتواءُ من الماءِ ونحوه. والمَغارِث: جمع المَغْرَث، وهو مصدر ميمي من غَرِثَ يَغْرَثُ، بمعنى جاعَ يجوعُ.

وقال رضي الله عنه :

[من الطويل]

١ أشاقك من عهد الخليط مغان   عفت منذ أحوال خلون ثمان [1]

٢ أأن أبصرت عيناك دارا محلة   بجزع الحلا عيناك تبتدران [2]

٣ أقول وقد هاج اشتياقي حمائم   قفا تسعدا في أيها الرجلان [3]

٤ نشدتكما الله الذي أنتما له   ودمه منظور أما تريا لي

---

(١) الخليط : القوم الذين أمرهم واحد ، وكان العرب ينتجعون أيام الكلأ ، فتجتمع منهم قبائل شتى في مكان واحد ، فتقع بينهم ألفة ، فإذا افترقوا ورجعوا إلى أوطانهم ساءهم ذلك ، ومن ثم كثر ذكر الخليط في أشعارهم . والمغاني : جمع المغنى ، وهو المنزل الذي غني به أهله - أي أقاموا - ثم ظعنوا عنه . وعفت : اندرست آثارها وامحت . والأحوال : جمع الحول ، وهو السنة . وخلون : مضين .

(٢) المحلة : المنزل ، والكلمة غير مضبوطة في الأصل ، فيصح ضبطها بضم الميم ، ومعنى المحلة : التي حلت ونزل بها . والجزع : منعطف الوادي ، ووسطه ، وقيل : لا يسمى جزعاً حتى تكون له سعة تنبت الشجر ، وقيل غير ذلك . والحلا : اسم موضع . وابتدرت عيناه : سالت دموعهما .

(٣) هاج شوقه : أثاره .

(٤) هكذا ورد الشطر الثاني في الأصل ، ولم أهتد إلى الصواب فيه ولا إلى معناه ، على أن المعنى العام للبيت أنه يستحلف الرجلين .

٥ أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ الدُّمُوعَ إِذَا جَرَتْ ... دَوَاءُ صُدَاعِ الرَّأْسِ وَالْخَفَقَانِ

٦ أَلَا أَبْلِغَا تَيْمَ بْنَ مُرَّةَ وَاحْسِنَا ... رِسَالَةَ لَا فَذٍّ وَلَا مُتَوَانِ [1]

٧ بِأَنَّكُمُ لَمْ تَأْخُذُوا لِنُفُوسِكُمْ ... بِمَا يَرْتَضِيهِ مِنْكُمُ الْمَلَكَانِ [2]

٨ هَلُمُّوا إِلَى دِينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... وَلَوْ كَانَ فِي أَقْصَى جِبَالِ عُمَانِ [3]

٩ تَرَاهَا وَلَمْ تُضْرَبْ بِسَوْطٍ وَلَمْ تَخَفْ
تَرَاوَحُ بَيْنَ السَّدْوِ وَالْجَمَزَانِ [4]

---

(١) تَيْمُ بْنُ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ: مِن بُطونِ قُرَيش، منهم أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، انظر جمهرة أنساب العرب: ١٣٥-١٣٦. وقوله: «..واحْسِنا..» أصله: وأَحْسِنا، فسهّل الهمزة للضّرورة. وقوله: «..لا فَذٍّ..» هكذا في الأصل، والفَذُّ: الفَرْدُ، وفَذَّ الرَّجُلُ عن أصحابه: إذا شَذَّ عنهم وبقي فَرْداً، ولعلّ تحريفاً أصاب الكلمة، وصوابه: «لا هِدٍّ» والهِدُّ: الجَبانُ الضّعيف البدَن من الرّجال. والمُتَواني: المُقَصِّر.

(٢) المَلَكان: أي اللّذان يكتُبانِ حَسَناتِ الإنسان وسيّئاته.

(٣) هَلُمُّوا: تَعالَوْا.

(٤) هذا البيت والّذي يليه في وَصْفِ النّاقة، وهما مُعْتَرِضانِ بَيْنَ كلامٍ مُتَجانِس، فإمّا أن يكون في القصيدة نقصٌ، أو أنّهما مُلْصَقانِ بها ولَيْسا منها.
والضمير في قوله: «تراها» عائد إلى النّاقة التي لم يذكرها من قبل. وتُراوِحُ بين السَّدْوِ والجَمَزان: تَسْدُو مرّةً وتَجْمِزُ مرّةً؛ والسَّدْوُ: ضَرْبٌ من سَيْرِ الإبل يتّسع فيه خَطْوُها؛ والجَمَزان: ضَرْبٌ من العَدْوِ؛ ولم يَرِدْ هذا المَصْدَرُ في اللّسان والقاموس، والّذي فيهما: جَمَزَ يَجْمِزُ جَمْزاً وجَمَزَى.

١٠ كَأَنَّ لَهَا هِرّاً بِمَعْقِدِ غَرْزِهَا إِذَا خُلِطَ الإِرْقَالُ بِالْوَخَدَانِ (١)

١١ مَحَضْتُكُمُ نُصْحِي، فَلاَ تَقْبَلُونَهُ جَزَاكُمْ إِلَهِي نُصْحَكُمْ وَجَزَانِي (٢)

١٢ فَأَحْمَدُ مَوْلاَيَ الْجَلِيلَ فَإِنَّهُ بِنِعْمَتِهِ مَا انْتَاشَنِي وَهَدَانِي (٣)

١٣ وَمَا زَالَ ذُو الْعَرْشِ الْعَلِيُّ بِدِينِهِ حَفِيّاً، فَفِيمَ الآنَ تَمْتَرِيَانِ (٤)

---

(١) الغَرْزُ للنَّاقَةِ كالحِزَامِ للفَرَسِ. والإرقال: ضَرْبٌ مِنْ سَيْرِ الإبِلِ سَرِيعٌ. والوَخَدَان: ضَرْبٌ مِنْ عَدْوِ الإبِلِ سَرِيعٌ، يَتَّسِعُ فيه خَطْوُها

(٢) فلا تقبلونه: أي فأنتم لا تقبلونه.

(٣) انْتَاشَهُ: اسْتَنْقَذَهُ واسْتَدْرَكَهُ وأَخَذَهُ مِنْ مَهْوَاتِهِ؛ وفي خُطْبَةِ السَّيِّدَةِ عائشة أُمِّ المؤمنين في أبيها: «...وانْتَاشَ الدِّينَ فَنَعَشَهُ...» انظر: شرح خطبة عائشة أم المؤمنين في أبيها، لمحمد بن القاسم الأنباري، ص: ٢٤؛ وانظر اللسان (نوش).

(٤) الحَفِيُّ: المَعْنِيُّ بالأَمْرِ المُظْهِرُ المَحَبَّةَ لَهُ، قال تعالى على لسان إبراهيم عليه الصلاة والسلام يُخَاطِبُ أَبَاهُ: ﴿ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً ﴾ أي: كانَ بِي مَعْنِيّاً، أو: كانَ بي عالِماً لَطِيفاً يُجِيبُ دَعْوَتِي إذا دَعَوْتُهُ. وتَمْتَرِيانِ: تَشُكَّانِ، والامْتِرَاءُ في الشَّيْءِ: الشَّكُّ فيه.

١٤ أَلَمْ تَرَيَا، وَالْفَيْلَقَانِ كِلاهُمَا ... بِبَدْرٍ وَثَارَ النَّقْعُ يَعْتَرِكَانِ (١)

١٥ إِلَى لُطْفِهِ بِالْمُؤْمِنِينَ وَنَصْرِهِ ... لَهُمْ، وَتَوَلَّى الْخَذْلُ كُلَّ هِدَانِ (٢)

١٦ وَأَوْدَى أَبُو جَهْلٍ وَهَدَّ بِرُوحِهِ ... إِلَى النَّارِ زِبْنِيَّانِ يَبْتَدِرَانِ (٣)

١٧ وَكَمْ مِنْ كَفُورٍ غَادِرٍ أَنْزَلَتْ بِهِ الـ ... نْنَوَازِلُ لَمَّا نَزَّلَتِ الْقَدَمَانِ (٤)

---

(١) الفَيْلَقَان: مُثَنَّى، والمُفْرَد الفَيْلَق، وهو الجيش العظيم، والكتيبة الشَّديدة من الجيش. والنَّقْعُ: الغبار. والواو في قوله: «والفَيْلَقان...» حاليَّة. ويَعْتَرِكان: يَقْتَتِلان.

(٢) الجار والمجرور «إلى لطفه...» متعلّقان بقوله: «تَرَيا» في البيت السابق. والهِدانُ: الجَبانُ، والأحمق الجافي الثقيل في الحرب.

(٣) في الأصل: «... وهى بروحه...» ووَجَّهْتُ البيتَ كما أثبتُّ. وأَوْدَى: هَلَكَ. وهَدَّ الشيءَ: سَحَقَهُ، وأَسْقَطه. والزِّبْنِيَّان: مُثَنَّى، والمُفْرَد زِبْنِيٌّ، والجمع الزَّبانية، وهم الملائكةُ الّذين يَزْبِنُونَ أَهْلَ النَّارِ إليها، أي يدفعُونَهم؛ قال تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَه. سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾. ويَبْتَدِران: يَتَسابَقان.

(٤) النَّوازل: جَمْعُ النَّازِلة، وهي الشَّديدةُ مِن الشَّدائد. والبيتُ مُدَوَّرٌ، أي: إنَّ كلمةً منه دَخَل بعضُها في آخر تفعيلةٍ من الشطر الأوّل، وبعضُها في أوّل تفعيلةٍ من الشطر الثاني.

١٠٥ فَغُودِرَ مَصْرُوعاً تُفِيضُ نِسَاؤُهُ عَلَيْهِ دُمُوعاً جَمَّةَ الْهَمَلانِ (١)

١٠٦ سَلَبْنَاهُ دُنْيَاهُ وَأَفْضَى بِدِينِهِ إِلَى حَرِّ نَارٍ جَاحِمٍ وَدُخَانِ (٢)

فَذَاكَ لَكُمْ مَادُمْتُمْ ، وَأَرَاكُمُ تُجِيبُونَ مَنْ نَادَى بِكُلِّ أَذَانِ (٣)

---

(١) أَفَاضَ فُلانٌ دَمْعَهُ : أَسَالَهُ عَلَى خَدِّهِ مِنْ كَثْرَتِهِ . والجَمَّةُ : الكَثِيرَة . والهَمَلانُ : سَيَلانُ الدَّمْعِ .

(٢) الجاحِمُ : الجمرُ الشديدُ الاشتعال ، والمكان الشديدُ الحَرّ .

(٣) ليسَ المُرادُ بالأَذانِ في هذا البيت الأَذانَ المعروفَ للصَّلاة ، بل أرادَ به مُجَرَّدَ الإعلامِ والنِّداءِ ؛ أي إنّهم يُجيبون كُلَّ مَنْ نادَى إلى نِحْلَةٍ مِنَ النِّحَلِ أو ضَلالَةٍ مِنَ الضَّلال ، بسببِ انْصِرافِهِم عَنِ الهُدَى .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ[1]:

قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المَدِينَةَ وَهِيَ أَوْبَأُ الأَرْضِ[2]، قَالَتْ: فَاشْتَكَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَمَوْلَيَاهُ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ وَبِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ[3]، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اذْهَبِي فَاسْأَلِي عَنْ أَبِيكِ وَعَمِّيكِ ثُمَّ أَخْبِرِينِي عَنْهُمْ، قَالَتْ: وَلَمْ يَكُنْ ضُرِبَ عَلَيْنَا الحِجَابُ بَعْدُ، فَدَخَلْتُ عَلَى أَبِي فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ! كَيْفَ تَجِدُكَ

---

(١) وَرَدَ هذا الحديث في مصادر كثيرة، وتختلف ألفاظه والمعنى واحد، في صحيح البخاري ٢: ٦٦٧ برقم: ١٧٩٠، والموطأ ٢: ٨٩٠، والمغازي ٣: ٦٦، ودلائل النبوة ٢: ٥٦٥، ٥٦٦، والسيرة النبوية - لابن هشام ٢: ٢٣٨، والسيرة النبوية - لابن كثير ٢: ٣١٥ - ٣١٧، والاكتفاء ١: ٤٩٣، والوفا بأحوال المصطفى ١: ٢٥٩، والسيرة الحلبية ٢: ٦٠، والنهاية في غريب الحديث (بعض الحديث) ٣: ٦، والسيرة النبوية - لدحلان ١: ٣٢٨.

(٢) أوبأ الأرض: أشدها وباءً، وذلك أن الحمى الشديدة كانت تصيب من [illegible].

(٣) واشتكى كذلك من الحمى معظم المهاجرين، وصرفها الله تعالى عن نبيه عليه السلام، حتى كان أصحابه ما يصلون إلا قعوداً من شدة [illegible]. انظر السيرة النبوية - لابن هشام ٢: ٢٣٩ - ٢٤٠. وعامر بن فهيرة وبلال بن رباح كلاهما ممن اشتراه أبو بكر رضي الله عنه من الكفار وأعتقه.

قَالَ: أَجِدُنِي بِخَيْرٍ، وَقَالَ:[1]

[مِنَ الرَّجَزِ]

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ[2]

وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ[3]

قَالَتْ: ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَى عَامِرِ بْنِ فُهَيْرَةَ، فَقُلْتُ لَهُ: أَيْ عَمِّ! كَيْفَ تَجِدُكَ؟ فَقَالَ: أَجِدُنِي بِخَيْرٍ، وَقَالَ:[4]

---

(1) ليسَ البيتان لأبي بكر الصّديق، وإنّما تَمَثَّلَ بهما، ويُنْسَبان لأبي بكر بن شَعُوبَ، وللحكَم النّهْشَلِيّ، ولحنظلة بن سيّار، انظر: البيان والتبيين ٣: ١٨٢، والعقد الفريد ٥: ١٨٥، وسمط اللآلي ١: ٥٥٥، وشرح المواهب اللّدُنّيّة ١: ٣٩٨.

(2) قال ابن الأثير: «أي مأْتِيٌّ بالمَوْتِ صَباحاً، لِكَوْنِهِ فيهم وَقْتَئِذٍ» النّهاية في غريب الحديث ٣: ٦.

(3) شِراكُ النَّعْلِ: سَيْرُهُ.

(4) اختلفت المصادر في ترتيب هذه الأبيات ما بين تقديم وتأخير. وبعض المصادر أَوْرَدَتْ بَيْتَيْنِ فقط، كالمُوَطّأ ودلائل النبوّة والسّيرة الحلبيّة، والأبيات لعَمْرِو بنِ مَامَةَ اللّخميّ، أَنشدها له صاحب معجم الشعراء: ١٢، وابن برّي في أماليه كما نَقَلَ عنه ابنُ منظورٍ في اللّسان (طوق)، والميدانيُّ في مجمع الأمثال ١: ١٠.

[مِنَ الرَّجَز]

كُلُّ امْرِئٍ مُقَاتِلٌ بِطَوْقِهِ (1)

وَالثَّوْرُ يَحْمِي أَنْفَهُ بِرَوْقِهِ (2)

لَقَدْ وَجَدْتُ المَوْتَ قَبْلَ ذَوْقِهِ (3)

إِنَّ الجَبَانَ حَتْفُهُ مِنْ فَوْقِهِ (4)

قَالَتْ: ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَى بِلَالٍ، فَقُلْتُ: يَا عَمِّ! كَيْفَ تَجِدُكَ؟ فَقَالَ: أَحْمَدُ اللهَ، وَقَالَ: (5)

[مِنَ الطَّوِيل]

وَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً بِفَخٍّ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ (6)

وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْماً مِيَاهَ مَجِنَّةٍ وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ (7)

---

(1) في السيرة - لابن هشام، والاكتفاء: «... مجاهد بطَوْقِهِ»؛ وفي معجم الشعراء واللسان: «... مقاتل عن طَوْقِهِ».
والطَّوْقُ: الوُسْعُ، والطَّاقة. وقال ابن منظور شارحاً رواية (عَنْ طَوْقِهِ): «أرادَ بالطَّوْقِ العُنُقَ» اللسان (طوق).

(2) في السيرة - لابن هشام، والسيرة - لدحلان: «كالثَّوْرِ ...»، وفي السيرة - لابن هشام، ومعجم الشعراء: «... يحمي جلدَه ...».
والرَّوْقُ: القَرْنُ.

(3) في معجم الشعراء: «لقد عَرَفْتُ...»، وفي الاكتفاء: «... دُونَ ذَوْقِهِ».

(4) الحَتْفُ: المَوْت.

(5) ليس البيتان لبلال، وإنّما تمثّل بهما تمثُّلاً، وقد كنتُ وقفتُ على صاحبهما فيما مضى في بعض المصادر، وقد أعياني اليوم العثور عليه. وممّا يدل على أنه ليس له قول الأصمعي فيما نقل عنه ياقوت: «مجنّة: جبل... وإياه أراد بلال فيما كان يتمثّل: (البيتان)» معجم البلدان ٥: ٥٩، ومثله في اللسان (جنن).

(6) في سائر المصادر: «ألا ليتَ...». وفي الموطأ، ودلائل النبوّة، والسيرة - لابن كثير، والوفا بأحوال المصطفى، والسيرة - لدحلان، والسيرة الحلبية: «... بوادٍ وحولي...»؛ وفي اللسان (جلل): «... بفجٍّ ...» تصحيف.
وفخٌّ: موضعٌ خارجَ مكّةَ المكرمة. والإذخر: نبات طيّب الرائحة. والجُليل: الثُّمام، وهو نبتٌ ضعيفٌ قصيرٌ.

(7) مَجَنّة: اسمُ سُوقٍ للعرب كانت في الجاهليّة، وهي بأسفل مكّة. ⟸

قَالَتْ ، فَرَجَعْتُ إِلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ حَالَهُمْ ، وَمَا سَمِعْتُ مِنْهُمْ ، فَكَرِهَ ذَلِكَ ، وَقَالَ[1] : ٱللَّهُمَّ بَيْنِي وَبَيْنَ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَٱلْعَاصِ بْنِ سَعِيدٍ وَأُمَيَّةَ ٱبْنِ خَلَفٍ وَٱلْأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ، فَإِنَّهُمْ أَخْرَجُونِي مِنْ مَكَّةَ .

⟸ وشامَةُ وطَفِيلُ: جَبَلانِ بمكّةَ ، وقيل عَيْنانِ .

(1) في صحيح البخاريّ : « اللَّهُمَّ الْعَنْ شَيْبَةَ بنَ ربيعة ، وعُتْبَةَ بنَ ربيعة ، وأُمَيَّةَ بنَ خَلَفٍ ، كما أخرجونا مِن أرضنا إلى أرضِ الوَباء ؛ ثمّ قال رسول اللهِ صلّى الله عليه وسلّم : اللَّهُمَّ حَبِّبْ إلينا المدينةَ كَحُبِّنا مكّةَ أو أَشَدَّ ، اللَّهُمَّ بارِكْ لنا في صاعِنا وفي مُدِّنا ، وصَحِّحْها لنا ، وانْقُلْ حُمَّاها إلى الجُحْفَةِ » . والجُحْفَةُ : قرية على نَحْوِ اثنَيْنِ وثمانين ميلاً مِن مكّةَ حَرَسَها الله ، وهي ميقاتُ الحاجِّ مِن أهل الشّام ومِصر والمغرب ، وتُسمّى رابغ .

[٢٠]

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَذْكُرُ الغَارَ[1]:

(١) وَرَدَتِ القصيدةُ كاملةً في تاريخ دمشق ٩: ٥٦٨-٥٦٩، وفي الاكتفاء ١: ٢٠٤-٢٠٦، والرَّوض الأُنُف ٢: ٢٣٤، ومِنَح المِدَح: ١٤٥-١٤٨.

ووَرَدَ البيتان ١ و ٢ في السِّيرة النبويّة لابن كثير ٢: ٢٤٣-٢٤٩.

ووَرَدَ الشطرُ الثاني من البيت ١١ في اللِّسان (سيد) دون نِسْبَة.

وقدّمَ ابنُ سيد النّاس للقصيدة بقوله: « ولأبي بكرٍ رضي الله عنه شعرٌ كثيرٌ في رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم وفي مَغازيه، روينا منها جُمْلَةً في السِّيَرِ، ومنه ما ذكره محمّد بن إسحاق من رواية يونس بن بكر [كذا، والصواب: بُكَيْر] يذكر سَيْرَهُ مع رسولِ الله في الهِجْرَةِ، وقصّةَ الغارِ، وأَمْرَ سُرَاقَةَ ابنِ مالِكِ بنِ جُعْشُمٍ المُدْلِجيِّ حينَ تبعَهما فَساخَتْ قوائمُ فَرَسِهِ في الأَرْضِ الجَلْدِ » مِنَح المِدَح: ١٤٥.

وقالَ ابنُ هشام: « قال ابنُ إسحاق: وحدَّثني الزُّهري أَنّ عبدالرحمٰن ابن [الحارث بن] مالكُ بن جُعْشُمٍ حَدَّثَهُ عن أبيهِ عَنْ عَمِّهِ سُراقَةَ بنِ مالِكِ ابن جُعْشُمٍ قال:

لَمَّا خَرَجَ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّم مِن مَكَّةَ مُهاجِراً إلى المدينةِ، جَعَلَتْ قُرَيشٌ فيهِ مِئَةَ ناقَةٍ لِمَنْ رَدَّهُ عَلَيْهِمْ. قال: فَبَيْنَا أنا جالِسٌ في نادي قَوْمي إذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنّا، حَتّى وَقَفَ علينا، فقال: واللهِ لَقَدْ رأَيْتُ رَكَبَةً ثلاثَةً مَرُّوا عليَّ آنِفاً، وإنّي لأَراهُمْ مُحَمَّداً وأَصْحابَه، قال: فأَوْمَأْتُ إليْهِ بعَيْنِي أَنِ اسْكُتْ، ثُمَّ قلتُ: إنّما هم بنو فلانٍ يَبْتَغُونَ ضالَّةً لَهُمْ؛ قالَ: لَعَلَّهُ، ثُمَّ سَكَتَ.

قال: ثُمَّ مَكَثْتُ قَليلاً، ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ بَيْتِي، ثُمَّ أَمَرْتُ بِفَرَسي فَقِيدَ لي إلى بَطْنِ الوادي، وأَمَرْتُ بِسِلاحي فأُخْرِجَ لي مِن دُبُرِ حُجْرَتي، ثُمَّ أَخَذْتُ قِداحي التي أَسْتَقْسِمُ بها، ثُمَّ انْطَلَقْتُ، فَلَبِسْتُ لَأْمَتِي [أي: دِرْعي]، ثُمَّ أَخْرَجْتُ قِداحي فاسْتَقْسَمْتُ بها، فخَرَجَ السَّهْمُ الذي أَكْرَهُ (لا يَضُرُّه) [أي: السَّهم المكتوب عليه: لا يَضُرُّه]. قال: وكنتُ أَرْجو أَنْ أَرُدَّهُ على قُرَيشٍ فآخذ المِئةَ النّاقة؛

⇐

[منَ البَسيطِ]

١ قَالَ ٱلنَّبِيُّ وَلَمْ أَجْزَعْ يُوَقِّرُنِي وَنَحْنُ فِي سُدْفَةٍ مِنْ ظُلْمَةِ ٱلْغَارِ (١)

⟸ قال: فركبت على أثره ، فبينما فرسي يشتدُّ بي عثَرَ بي فسقطتُ عنه ، قال: فقلتُ: ماهذا ؟! قال: ثمّ أخرجتُ قِداحي فاستقسمتُ بها ، فخرجَ السّهمُ الّذي أكرهُ (لا يضرُّه) ، قال: فأبيتُ إلّا أنْ أتْبَعَهُ . قال: فركبتُ في أثرِه ، فبينما فرسي يشتدُّ بي عثَرَ بي فسقطتُ عنه ، قال: فقلتُ: ماهذا ؟!! قال: ثمّ أخرجتُ قِداحي فاستقسمتُ بها ، فخرجَ السّهمُ الّذي أكرهُ (لا يضرُّه) ، قال: فأبيْتُ إلّا أنْ أتْبعَه ، فركبتُ في أثرِه . فلمّا بدا ليَ القومُ ورأيتُهم عثَرَ بي فرسي ، فذهبتْ يداهُ في الأرضِ ، وسقطتُ عنْهُ ، ثمّ انتزعَ يدَيْهِ من الأرضِ وتبعَهما دُخانٌ كالإعصارِ ، قال: فعرفتُ حينَ رأيتُ ذلكَ أنّهُ قدْ مُنِعَ منّي وأنّهُ ظاهِرٌ .

قال: فناديْتُ القومَ فقلتُ: أنا سُراقةُ بنُ جُعْشُم ، انظُروني أُكلّمْكُمْ ، فواللهِ لا أريبُكُمْ ولا يأتيكُمْ منّي شيءٌ تكرهونَهُ . قال: فقال رسولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم لأبي بكر: قُلْ لَهُ: وما تبتغي منّا ؟ قال: فقال ذلكَ أبوبكر ؛ قال: فقلْتُ: تكتُبُ لي كِتاباً يكونُ آيةً بيني وبينَكَ [أي: علامةً] ؛ قال: اكتُبْ لَهُ يا أبابَكْر ... » السّيرة النّبويّة ٢: ١٣٣ - ١٣٤.

(١) في الاكتفاء ، ومنح المدح : « ... ولم يَجْزَعْ ... » ، وفي الرّوض الأُنُف : « ... ولَمْ يَزَلْ ... » .
وجَزِعَ: لَمْ يَصْبِرْ . والسُّدْفَةُ: الظُّلْمَةُ .

٢ لا تَخْشَ شيئاً فإنَّ اللهَ ثالِثُنا ... وقد توكَّلنا منه بإظهارِ (١)

٣ وإنَّما الكيدُ لا تُخشى بوادِرُهُ ... كيدُ الشياطينِ كادته لكفَّارِ (٢)

٤ واللهُ مُهلِكُهم طرّاً بما كسبوا ... وجاعلُ المنتهى منهم إلى النَّارِ (٣)

٥ وأنتَ مُرتحِلٌ عنهم وتارِكُهم ... إمَّا غُدُوّاً وإمَّا مُدْلِجٌ سارِ (٤)

---

(١) روى البخاريّ عن أبي بكرٍ رضي الله عنه قال: قُلتُ للنبيِّ صلّى الله عليه وسلّم وأنا في الغار: لو أنَّ أحدَهُم نظرَ تحتَ قدميْهِ لأبصرَنا، فقال: «ما ظنُّكَ يا أبا بكرٍ باثنينِ اللهُ ثالثُهما» صحيح البخاري ٣: ١٣٣٧ برقم ٣٤٥٣. وقال تعالى: ﴿إذْ أخرجَهُ الَّذينَ كفَروا ثانِيَ اثنينِ إذْ هُما في الغارِ إذْ يقولُ لصاحبِهِ لا تحزَنْ إنَّ اللهَ معَنا، فأنزلَ اللهُ سكينتَهُ عليهِ وأيَّدَهُ بجنودٍ لم ترَوْها...﴾.

(٢) في سائر المصادر: «وإنَّما كيدُ مَنْ تُخشى بوادِرُهُ...».
وفي البيت إشارةٌ إلى ضعفِ كيدِ الشيطانِ، وقال تعالى: ﴿فقاتِلوا أولياءَ الشيطانِ إنَّ كيدَ الشيطانِ كانَ ضعيفاً﴾.
والبوادِرُ: ما يَبْدُرُ - أي يَسْبِقُ - مِنْ حِدَّةِ الرَّجُلِ في حالِ غضبِهِ مِن قولٍ أو فعلٍ.

(٣) في الأصل: «... مهلكهم طوراً...» تحريف.
وطُرّاً: جَمْعاً.

(٤) المُدْلِجُ: السائرُ آخِرَ اللَّيْلِ. والسَّاري: السائرُ عامَّةَ اللَّيلِ، يُقال: سَرَى يَسْري سُرًى ومَسْرًى.

٦ وَهَاجَرُ أَرْضَهُمْ حَتَّى يَكُونَ لَنَا قَوْمٌ عَلَيْهِمْ ذَوُو عِزٍّ وَأَنْصَارِ

٧ حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ وَارَتْنَا جَوَانِبُهُ وَسَدَّ مِنْ دُونِ مَا نَخْشَى بِأَسْتَارِ

٨ سَارَ الأُرَيْقِطُ يَهْدِينَا وَأَيْنُقُهُ يَنْعَبْنَ بِالْقَوْمِ نَعْباً تَحْتَ أَكْوَارِ

---

(١) في الأصل: «أورانا» تحريف، والصواب عن سائر المصادر. وفي سائر المصادر: «... مَنْ نَخْشَى ...».

و وَارَانا: أخفانا. و «سَدَّ مِنْ دُونِ ما نَخْشَى» أي ما نخافُ إدراكَ الكُفَّار.

و «سَدَّ مِنْ دُونِ مَنْ نَخْشَى» أي مَنْ نخافُ لَحاقَهُ بِنا مِن الكُفَّار، والفَرْق بين «ما» و «مَنْ» اللَّتَيْنِ بمعنى الذي هو أنَّ «ما» تُسْتَخْدَم للتعبير عن غَيْرِ العاقِل، و «مَنْ» للعاقِل.

(٢) في الاكتفاء: «... يَنْعَيْنَ بالقَرْمِ نَعْياً ..» تصحيف، وصوابُه ما جاء في الروض الأُنُف: «... يَنْعَبْنَ بالقَرْمِ نَعْباً ..». وفي منح المدح: «.. تَنْعَبُ بالقوم نَحْتاً ...» تصحيف وتحريف.

والأُرَيْقِط: هو عبدالله بن الأُرَيْقِط ـ وقيل: ابن الأرقط ـ رَجُلٌ مِن بني الدُّئِل بن بَكْرٍ، وكانَ مُشْرِكاً، استأجَرَهُ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأبوبكر رضي الله عنه لِيَدُلَّهُما على الطَّريق في الهِجْرَة، وكانَ القَوْمُ الَّذين هاجروا مع عبدالله بن الأُرَيْقِط ثلاثة: رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، وأبوبكر ومَوْلاهُ عامر بن فُهَيْرَة رضي الله عنهما. ويهدينا: يَدُلُّنا. والأَيْنُق: جمع قِلَّةٍ للنّاقة. ويَنْعَبْنَ: يَعْدُونَ عَدْواً سريعاً. والأكوار: جَمْعُ الكُورِ، وهو الرَّحْل.

والقَرْمُ: السَّيِّد، يعني النبيَّ عليه الصلاة والسلام.

٩ يَعْسِفْنَ عَرْضَ الثَّنَايَا بَعْدَ أَطْوُلِهَا ... وَكُلَّ سَهْبٍ دُقَاقِ التُّرْبِ مَوَّارِ (١)

١٠ حَتَّى إِذَا قُلْتُ قَدْ أَنْجَدْنَ عَارِضَنَا ... مِنْ مُدْلِجٍ فَارِسٌ فِي مَنْصِبٍ وَارِ (٢)

١١ يَرْدِي بِهِ مُشْرِفُ الْأَقْطَارِ مُعْتَرِضًا ... كَالسِّيدِ ذِي اللِّبْدَةِ الْمُسْتَأْسِدِ الضَّارِي (٣)

---

(١) في الأصل: «.. عرض المطايا ..» تحريف، والصواب عن سائر المصادر. وفي الاكتفاء، والروض الأُنُف: «... رِقاق الترب ..» تحريف.

وعَسَفَ المفازةَ والطريقَ: قطعها من غيرِ عِلْمٍ ولا أَثَرٍ. والأَطْوُل، جمع الطُّولِ، وهو جمعٌ شاذٌّ؛ لأنَّ (أَفْعُل) يُجْمَع عليه كلُّ اسمٍ ثلاثيٍّ صحيح الفاء والعين غير مُضاعَف؛ وجَمْعُ الطُّول هوَ: أَطْوَال. والثَّنايا: جمع الثَّنِيَّة، وهي العَقَبَة، أو طريقُ العَقَبَةِ، أو الجَبَلُ. والسَّهْبُ: الفَلاةُ. والدُّقاق: الدَّقيق. والمَوَّار: الشَّديد المَوْر، وهو الجَرَيانُ على وَجْهِ الأَرْضِ، والتَّحَرُّكُ.

(٢) في منح المدح: «حتى إذا ما بلغنا الغَارَ ...». وفي الاكتفاء: «.. عارضَها..».

أَنْجَدْنَ: أَتَيْنَ نَجْداً. ومُدْلِج: هو مُدْلِجُ بنُ مُرَّةَ بنِ عبدِ مناةَ بن كِنانَةَ، ومنهم سُراقةُ بن مالك. والمَنْصِب: المَقَام، أو هو مَصْدَرٌ ميميّ مِن قَوْلِهم: نَصَبَ السَّيْرَ إذا رَفَعَهُ، أي بالَغَ فيه. والواري: أي الشَّديد، مأخوذ من قولهم: وَرَى الزَّنْدُ إذا اتَّقَدَ وخَرَجَتْ نارُه، وكذلكَ: وَرَتِ النَّارُ؛ فَشَبَّهَ سُرْعَةَ فَرَسِ سُراقةَ باتِّقادِ النَّار.

(٣) في الأصل: «.. مسرف ...» تصحيف. وفي الاكتفاء، والرَّوض الأُنُف: «... مُعْتَزِمٌ كالسِّيدِ ...». وفي مِنَح المِدَح: «... مشرف الأقطار معتزم كالسّر..» تحريف.

ورَدَى الفَرَسُ يَرْدِي: رَجَمَ الأَرْضَ بحَوافِرِه في سَيْرِه وعَدْوِه. ومُشْرِفُ الأقطار: مُرْتَفِعُ النَّواحي؛ يَصِفُ الفَرَسَ بالطُّولِ والضَّخامَةِ. والسِّيدُ: الأَسَدُ بِلُغَةِ بني هُذَيْل، وهو المُرادُ هنا؛ وفي لغة غيرِهم السِّيدُ هوَ الذِّئبُ. ⟸

١٢ فَقَالَ: كُرُّوا، فَقُلْنَا: إِنَّ كَرَّتَنا مِنْ دُونِهَا لَكَ نَصْرُ الْخَالِقِ الْبَارِي[1]

١٣ أَنْ يَخْسِفَ الْأَرْضَ بِالْأَحْوَى وَفَارِسِهِ فَانْظُرْ إِلَى أَرْبَعٍ فِي الْأَرْضِ غُوَّارِ[2]

١٤ فَهِيلَ لَمَّا رَأَى أَرْسَاغَ مُهْرَتِهِ قَدْ سُخْنَ فِي الْأَرْضِ لَمْ تُخْفَرْ بِمِحْفَارِ[3]

⇐ واللِّبْدَة: الشَّعَرُ المُتَرَاكِبُ بين كتفَي الأسد. والمُسْتَأْسِد: المُجترِئ. والضَّارِي: الجريء، والمُولَعُ بأكلِ اللَّحْمِ.

(١) في الرَّوْضِ الأُنُف: «... فقلتُ: إنَّ ...»، وفي منح المدح: «... فقالوا: إن كَرَرْتَ بنا ...».

وكَرَّ الرَّجُلُ: رَجَعَ. وقوله: «إنَّ كَرَّتَنا مِن دُونِها لكَ نَصْرُ الخالقِ الباري» أي: إنَّ نَصْرَ اللهِ الخالِقِ البارئُ يَحُولُ بَيْنَكَ وبَيْنَ ما تُرِيدُ مِن رُجوعِنا، وقوله في البيت التالي: «أَنْ يَخْسِفَ...» بَدَلٌ مِن «نَصْرِ الخالقِ الباري».

(٢) الأَحوى: صفةٌ للفَرَسِ، وهو الأَسْوَد؛ أَمّا اسْمُ فَرَسِ سُرَاقَةَ الذي تَبِعَ بِهِ النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم فَهُوَ العَوْدُ، انظر: أسماء خيل العرب - للغُنْدِجَانِيّ: ١٨٠. وغُوَّار: أي غائِرَة.

(٣) في الاكتفاء، والرَّوْضِ الأُنُف: «... أَرْساغَ مُقْرَبِهِ...»؛ وفي منح المدح: «...أرباع مبرحه...» تحريف.

وهِيلَ: أُصِيبَ بالهَوْلِ، وهُوَ الفَزَعُ. وساخَتْ قَوائِمُهُ في الأَرْضِ: غاصَتْ.

والمُقْرَبُ: الفَرَسُ الذي يُكَرَّم ويُقَرَّبُ مَرْبِطُهُ ومَعْلِفُه.

١٥ فَقَالَ: هَلْ لَكُمْ أَنْ تُطْلِقُوا فَرَسِي ... وَتَأْخُذُوا مَوْثِقِي فِي نُصْحِ أَشْرَارِ (١)

١٦ فَأَصْرِفَ الْحَيَّ عَنْكُمْ إِنْ لَقِيتُهُمُ ... وَأَنْ أُعَوِّرَ مِنْهُمْ كُلَّ عُوَّارِ (٢)

١٧ فَادْعُوا الَّذِي هُوَ عَنْكُمْ كَفَّ عَدْوَتَنَا ... يُطْلِقْ جَوَادِي فَأَنْتُمْ خَيْرُ أَبْرَارِ (٣)

---

(١) في منح المدح: «... تُطْلِقوا قَدَمي ...» تحريف. وفي الاكتفاء، والرَّوض الأُنُف: «... نُصْحِ أَشْرارِ». وفي منح المدح: «... نصح إِسرار».

والمَوْثِق: العهد. وقوله: «وتأخذوا موثقي في نُصْحِ أَشْرار» أي في نصح الكُفّار بأن يرجعوا.

وقوله: «في نصح أَشْرارِ» أيْ أنْ يَنْصَحَ للنَّبيّ ورفاقه فيكتمَ الأَسْرارَ وما رأى عن الكُفّار؛ والنُّصْحُ: الإخلاص. وقوله: «في نصح إِسْرارِ» أي أن يُخْلِصَ في كَتْمِ السِّرِّ الّذي عَرَفَ، وهو مَكان النبيّ عليه السّلام وصَحْبِه.

(٢) في سائر المصادر: «وأَصْرِفَ ...... عَيْنَ عُوّارِ».

وعَوَّرَ الرَّجُلُ عَن الأَمْرِ: رَدَّهُ وصَرَفَه عنه. والعُوّار: الرَّجُل الّذي لا بَصَرَ له بالطّريق ولا مَعْرِفَةَ.

(٣) في الاكتفاء، ومنح المدح: «فادعُ ...». وفي الرّوض الأُنف: «... كفّ عَوْرَتنا ...» تحريف. وفي الاكتفاء، والرّوض الأُنُف: «... وأُنتمُ ...»؛ وفي منح المدح: «... ويُتْمِمْ خَيْرَ أَبْرارِ» تحريف.

وعَدَا عليه: ظَلَمَهُ، وتجاوَزَ الحَدَّ؛ وعَدَا: جَرَى. وجُزِمَ الفعْل «يُطْلِقْ» لأَنَّهُ جَوابُ الطَّلَب.

١٨ فقالَ قولاً رسولُ اللهِ مُبتهلاً: يا ربِّ إنْ كانَ ينوي غيرَ إخفاري [١]

١٩ فَنجِّهِ سالماً مِنْ شرِّ دعوتِنا ومُهرَهُ مُطلَقاً مِنْ كَلْمِ آثارِ [٢]

٢٠ فأَظهرَ اللهُ إذْ يدعو حوافِرَهُ وَفازَ فارسُهُ مِنْ هَوْلِ أخطارِ [٣]

---

(١) في الاكتفاء، والرّوض الأُنُف: «... إنْ كانَ مِنْهُ ...»، وفي منح المدح: «... أنْ كان فيهِ خيرٌ ...» تحريف.

وابْتَهَلَ إلى الله: تَضَرَّعَ واجْتَهَد في الدُّعاء. والإخفار: نَقْضُ العَهْدِ والغَدْرُ بِهِ.

(٢) في منح المدح: «فَرُدَّهُ سالِماً ...».

والكَلْمُ: الجُرْحُ.

(٣) في الاكتفاء: «... ونار فارسه ...» تحريف.

والهَوْل: الفَزَع، والأَمْرُ الشَّدِيد.

[٢١]

وَقَالَ رَضِيَ ٱللهُ عَنهُ يَذكُرُ ٱلإِسرَاءَ بِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ :[1]

[مِنَ ٱلطَّوِيلِ]

١ عَجِبْتُ لِمَا أَسْرَى ٱلإِلَهُ بِعَبْدِهِ ... مِنَ ٱلْبَيْتِ لَيْلاً نَحْوَ بَيْتٍ مُقَدَّسِ[2]

٢ كِلَا طَلَقَيْهِ كَانَ مَنًّا بِبَعْضِهَا ... ذَهَاباً وَإِقْبَالاً وَمَا مِنْ مُعَرَّسِ[3]

---

(١) انظر خبر الإسراء والمعراج في السيرة ـ لابن هشام ٢ : ٣٦ ـ ٥٠ .

وقال الله تعالى في ذكر الإسراء : ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ .

(٢) البيت : هو البيت الحرام بمكّة المكرّمة . والبيت المُقَدَّس : هو المسجد الأقصى في بيت المقدس .

(٣) الطَّلَقُ : الشَّوْطُ مِنْ جَرْيِ الخَيْلِ ، وأرادَ بالطَّلَقَيْنِ ذَهابَ البُراقِ ورُجُوعَه بِرَسُولِ الله صلّى الله عليه وسلّم . والمُعَرَّس : المكانُ ينزل فيه المسافر آخِرَ اللَّيْلِ .

وفي حديث الإسراء والمعراج أنّ النّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم أُسْرِيَ بهِ وعُرِجَ إلى السَّماءِ لَيْلاً ، فلمّا أَصْبَحَ غَدَا على قريش فأخبرهم الخَبَر ، فقال أكثرُ النّاس : هذا واللهِ الإِمْرُ المبين ـ أي : العَجيبُ المُنْكَرُ ـ واللهِ إنّ العِيرَ لَتُطْرَدُ شَهْراً من مكّة إلى الشّام مُدْبِرَةً وشَهْراً مُقْبِلَةً ، أَفَيَذْهَبُ ذلكَ مُحَمَّدٌ في ليلةٍ واحدةٍ ويرجع إلى مكّة ؟

وارْتَدَّ كثيرٌ مِمَّنْ كانَ أَسْلَمَ ، وذهب النّاس إلى أبي بكر ←

٣ فَآمَنْتُ إيمَاناً بِرَبِّي وَبَيَّنَتْ لَنَا كُتُبٌ مِنْ عِنْدِهِ لَمْ تُلَبَّسِ[1]

⇐ رضي الله عنه ، فقالوا: هل لكَ يا أبا بكر في صاحبك ، يَزْعُمُ أنَّه قد جاء هذه اللَّيْلَةَ بيتَ المَقْدِس ، وصلّى فيه ، ورَجَع إلى مكّة ؛ فقال لهم أبو بكر: إنَّكُمْ تَكذِبونَ عليه ، فقالوا: بلى ، هاهو ذا في المسجد الحرام يُحَدِّثُ بِهِ النَّاسَ ، فقال أبو بكر: والله لَئِنْ كانَ قالَهُ لَقَدْ صَدَقَ ، فما يُعْجِبُكُمْ مِن ذلك ؟ فوَاللهِ إنَّه لَيُخْبِرُني أنَّ الخَبَرَ لَيَأتيهِ مِنَ السَّماءِ إلى الأرضِ في ساعةٍ مِن ليلٍ أوْ نهارٍ فأُصَدِّقُه ، فهذا أبْعَدُ مِمَّا تَعْجَبُونَ منه .

ثم أقبل حتّى انتهى إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال: يا نبيَّ الله ، أَحَدَّثْتَ هؤلاءِ القومَ أنّكَ جئتَ بيتَ المقدس هذه اللَّيلةَ ؟ قال: نعم ، قال: يا نبيَّ الله ، فَصِفْهُ لي ، فإنّي قَدْ جِئْتُه ؛ فجعل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يصفه لأبي بكر ، وأبو بكر يقول: صَدَقْتَ ، أَشْهَدُ أنَّكَ رسولُ الله ، كلّما وَصَفَ لَهُ منه شيئاً ؛ حتّى إذا انتهى قالَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لأبي بكر: وأنتَ يا أبا بكرٍ الصِّدِّيق ؛ فيومئذٍ سَمّاهُ الصِّدِّيق .

نقلاً عن السِّيرة – لابن هشام ٢: ٣٩ – ٤٠ .

(١) لم تُلَبَّس: لم تُخلَّط ولم تَشْتَبِه ، مأخوذٌ مِن قولهم: لَبَسَ عليهِ الأمْرَ إذا خَلَطَهُ عليهِ حتّى لا يعرف حقيقتَه ؛ قالَ تعالى يخاطِب اليهود: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

٤ مُبَيِّنَةٌ فِيهَا شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ ... وَمَوْعِظَةٌ لِلسَّائِلِ الْمُتَجَسِّسِ[1]

٥ نَرَى الْوَحْيَ فِيهَا مُسْتَبِينًا وَخُطَّةً ... مِنَ الْوَحْيِ تَمْحُو كُلَّ أَمْرٍ مُعَمَّسِ[2]

٦ إِلَهٌ عَظِيمُ الْقَدْرِ أَوْحَى كِتَابَهُ ... إِلَى مُصْطَفًى ذِي عِفَّةٍ لَمْ يُدَنَّسِ[3]

---

(١) هذا المعنى مأخوذٌ مِن قولِهِ تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، ومن قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾. والمُتَجَسِّسُ: الباحِثُ عَنْ أَمْرٍ ما والمُتَفَحِّصُ عَنْهُ.

(٢) الخُطَّةُ: الأَمْرُ، وفي الحديث: «إِنَّهُ قد عَرَضَ عليكم خُطَّةَ رُشْدٍ فاقْبَلُوها» أي: أمراً واضِحاً في الهدى والاستقامة. والأمرُ المُعَمَّسُ: الشديد المُظلِم الذي لا يُدرى مِن أَيْنَ يُؤْتَى له؛ ومنه قيل: أتانا بأُمورٍ مُعَمَّساتٍ، أي مَلْوِيَّاتٍ عَنْ جِهَتِها مُظْلِماتٍ؛ وعَمَّسَ عليهِ الأَمْرَ: خَلَّطَهُ ولَبَّسَهُ ولم يُبَيِّنْهُ، فهو أَمْرٌ مُعَمَّسٌ.

(٣) دَنَّسَ الثَّوْبَ، وَسَّخَهُ؛ ودَنَّسَ عِرْضَ الرَّجُلِ: فَعَلَ بِهِ ما يَشِينُهُ، ودَنِسَ عِرْضُهُ: أصابَهُ ما يَشِينُهُ، ومنه قول الشاعر:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ اللُّؤْمِ عِرْضُهُ ... فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ

٧ كَرِيمِ المَسَاعِي مِنْ ذُؤَابَةِ هَاشِمٍ تَمَكَّنَ مِنْهَا فِي نَوَاصٍ وَمَعْطِسِ (١)

٨ إِذَا عُدَّتِ الأَنْسَابُ أَوْ قِسْنَ بِالحَصَا

فَمَغْرِسُهُ مِنْ هَاشِمٍ خَيْرُ مَغْرِسِ (٢)

٩ فَلَا تُوعِدُوهُ وَاقْبَلُوا مَا أَتَاكُمُ بِهِ مِنْ رِسَالَاتٍ مَتَى تُوحَ تُدْرَسِ (٣)

١٠ وَإِلَّا فَإِنِّي خَائِفٌ أَنْ يُعَذِّبُوا وَيُضْرَبْ عَلَى أَبْصَارِهِمْ ثُمَّ تُطْمَسِ (٤)

---

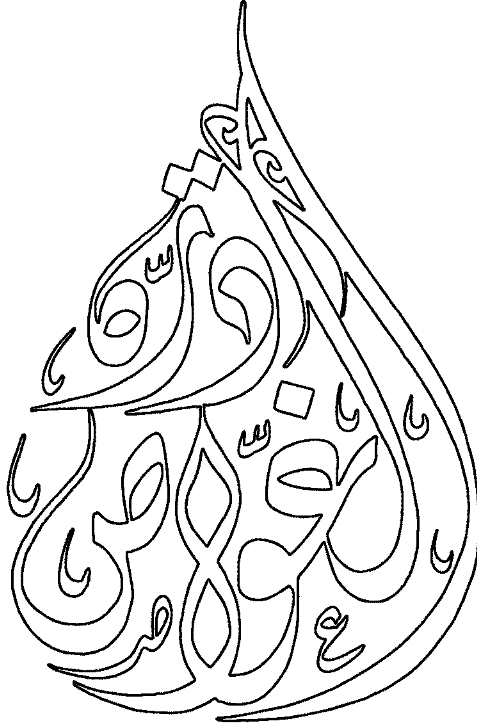
(١) الذُّؤابة من كلّ شيء: أعلاه، يُقال: فلانٌ ذُؤابةُ قَوْمِه: إذا كانَ شريفَهم والمُقَدَّمَ فيهم. والنَّواصي: جَمْعُ النَّاصِيَة، وهِيَ مُقَدَّمُ الرَّأسِ، وشَعَرُ مُقَدَّم الرَّأس إذا طالَ. والمَعْطِس: الأَنْفُ.

(٢) قوله: «قِسْنَ» مبنيّ للمجهول، مِن قولهم: قاسَ الشَّيْءَ بالشَّيْءِ؛ والنُّون نونُ الإناث، عائدة على الأنساب.

(٣) أَوْعَدَهُ: تَهَدَّدَه. و«تُوحَ» مضارعٌ مبنيّ للمجهول مجزوم لأنَّه فعلُ الشَّرْط. وتُدْرَس: تُقْرَأ ويُقْبِلُ المُسْلِمون على حِفْظِها وفَهْمِها.

(٤) جُزِمَ الفِعْلُ «يُضْرَبْ» لأنَّه معطوف على مَحَلِّ جُمْلَة «إنِّي خائفٌ أن يُعَذَّبوا» وهو الجزم، إذ إنَّ جملة «إنِّي خائفٌ...» هي جواب الشَّرْط في قولِهِ: «وإلَّا» المُؤَلَّف مِنْ (إنْ) الشرطيّة، و(لا) النافية؛ والتَّقدير: وإلَّا يَقْبَلوا ما آتاهُم يَكُنْ خَوْفٌ مِنِّي أن يُعَذَّبوا، ويُضْرَبْ على أبصارهم، ثُمَّ تُطْمَسْ. وطَمَسَ على بَصَرِه، وطَمَسَ بَصَرَه: أعماه، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ ﴾ أي: لأعْمَيْناهم، وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ ﴾ أي: فأعْمَيْناهُمْ.

١١ وَتَلْقَوْا كَمَا لَاقَتْ قُرُونٌ كَثِيرَةٌ   مَضَتْ قَبْلَكُمْ مِنْ صَاعِقَاتٍ وَأَنْحُسِ[1]



(١) القُرُون: جمع القَرْن ، وهو الأُمَّة التي هَلَكَتْ فلم يبق منها أحد ، وكُلُّ أَهْلِ زمانٍ واحدٍ ، والأُمَّةُ بَعْدَ الأُمَّةِ. والصَّاعِقَات: جمع الصَّاعِقَة ، وهي كلّ عَذَابٍ مُهْلِكٍ ، وصَيْحَةُ العَذَاب ، ونارٌ تسقط من السَّماء ، والمَوْت. والأَنْحُسُ: جمع النَّحْسِ ، وهو الأَمْرُ المُظْلِمُ ، والغُبَار في أقطار السَّماء ، وضِدُّ السَّعْدِ.

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

[مِنَ الطَّوِيل]

١ أَشَاقَتْكَ أَطْلَالٌ بِوَجْرَةَ دُرَّسُ ... كَمَا لَاحَ فِي الرَّقِّ الْكِتَابُ الْمُنَكَّسُ (١)

٢ أَضَرَّ بِهَا حَتَّى عَفَتْ وَتَنَكَّرَتْ ... شُهُورٌ وَأَيَّامٌ مَضَيْنَ وَأَحْرُسُ (٢)

٣ يَكَادُ بِهَا الْبَاغِي الْمُضِلُّ قَلُوصَهُ ... يَضِلُّ فَمَا فِيهَا بِخَلْقٍ مُعَرَّسُ (٣)

---

(١) في الأصل: «أشاقتكَ الى بوجرة...» ، ولم أهتدِ إلى وجه الصواب في قراءة الكلمة الثّانية ، فوضعتُ اللفظ المناسب للمقام ، وهو «أطلال».

وشاقَهُ: هاجَ شَوْقَهُ . والأطلال: جمع الطّلل ، وهو ما بقي شاخصاً من آثار الدّيار . ووَجْرَة: موضع بين مكّةَ والبَصْرَة ، ليس فيه منزل ، يكثر فيه الوَحش ، وهو حيوانُ البرّ كالظّباء والحُمُرُ والبَقَرُ الوَحشية . والدُّرَّسُ: جمع الدّارِس ، وهو الّذي ذهبت آثاره وامَّحَتْ . ولاحَ: ظَهَرَ . والرَّقُّ ، بفتح الرّاء وكسرها: جِلْدٌ رَقيقٌ يُكْتَبُ فيه . والمُنَكَّس: الّذي أُعيدَتْ كتابَتُه مرّةً بَعْدَ مَرَّة ، وهذا المعنى مأخوذ من قولهم: نَكَّسْتُ الخِضَابَ إذا أعَدْتَ عَلَيْهِ مرّةً بعد مرّة .

(٢) عَفَتِ الأطلال: ذهبت آثارها وامَّحَتْ . وتَنَكَّرَت: تَغَيَّرَتْ عن حالِها الّتي كانت عليها . و«شهورٌ» فاعلٌ للفعل «أَضَرَّ» . والأَحْرُس: جَمْعُ الحَرْسِ ، وهو الدَّهْرُ ، والوَقْتُ الطَّويلُ منه .

(٣) الباغي: الّذي يطلب الشّيءَ الضَّالَّ . والقَلُوصُ: النّاقَةُ الفَتِيّةُ المُجتمعة الخَلْق . والمُعَرَّس: المكان يَنْزِل فيه المُسافِرُ آخِرَ اللَّيلِ .

٤ مَرَابِطُ أَفْرَاسٍ وَمَبْرَكُ جَامِلٍ فَأَنَّىٰ تَرَىٰ هٰذَا وَذَاكَ تَلَمَّسُ ؟ (١)

٥ أَلَا أَبْلِغَا عَنِّي قُرَيْشًا أَلُوكَةً وَلَا تَلْبِسَا فَالْحَقُّ لَا يَتَلَبَّسُ (٢)

٦ فَلَا تَتْرُكُوا حَقًّا لَكُمْ وَتُضَيِّعُوا نَفِيسًا وَدِينُ ٱللّٰهِ أَعْلَىٰ وَأَنْفَسُ

٧ فَقَدْ لَاحَ لِلسَّارِي ٱلصَّبَاحُ فَأَبْصَرَتْ عُيُونٌ لَكُمْ كَادَتْ عَنِ الْحَقِّ تَطْمِسُ (٣)

---

(١) المَرَابِط : جمع المَرْبِط ، وهو مكان الرَّبْط . والمَبْرَك : مكان بُرُوك الجمال . والجامِل : القَطيعُ مِن الإبِل مع رُعاتِه وأَصحابِه . وأَنَّىٰ : بمعنىٰ (كيف) . و « تَلَمَّسُ » ، أي تَتَلَمَّسُ ، فحذف إحدىٰ التاءين للتخفيف ؛ وتَلَمَّس الشَّيْءَ : طَلَبَه .

يقول : كيف ترىٰ مرابطَ الأفراس ومبركَ الإبل ، وكيف تتلمّس آثار الدّيار ، وقد مضىٰ علىٰ عَهْدِكَ بها شُهورٌ وأَيّامٌ ووقتٌ طويل ؛ يخاطِب بذلكَ نفسَه .

(٢) الأَلُوكة : الرِّسالة . وقوله : « ولا تَلْبِسا » مأخوذٌ مِن اللَّبْسِ ، وهو اختلاطُ الأمر واشْتِباهُهُ وإشكالُه . وقولُه : « فالحقّ لا يَتَلَبَّسُ » أي لا يُشْكِل ولا يَشْتَبِهُ ، بل هو واضحٌ بَيِّنٌ .

(٣) لاحَ : ظَهَرَ . والسّاري : الذي يَسيرُ عامّةَ اللَّيْل ؛ والفِعْلُ مِنْهُ : سَرَىٰ . وطَمِسَتْ عَيْنُه : أُعْمِيَتْ .

٨ أَنِيبُوا إِلَى دِينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ فَطَالِبُ دِينِ اللَّهِ أَعْلَى وَأَكْيَسُ (١)

٩ وَلَا تَتَوَانَوْا عَنْ طِلَابِ نَبِيِّكُمْ فَمَا يَتَوَانَى عَنْهُ إِلَّا الْمُوَسْوِسُ (٢)

١٠ وَأَنْضُوا إِلَيْهِ كُلَّ جَأْبٍ هَمَلَّعٍ تُعَارِضُهُ وَجْنَاءُ كَالْفَحْلِ عِرْمِسُ (٣)

١١ فَلَا يَخْتَزِلْكُمْ دُونَهُ ذِكْرُ مَهْمَهٍ يَكِلُّ بِهِ الْوَهْمُ الْجُلَالُ الْفَجَنَّسُ (٤)

---

(١) في الأصل: «أَنِيسوا إلى ...» تحريف.

وأناب إلى الشيء: رجع إليه. والكَيِّس: العاقل الفطن.

(٢) توانى: قَصَّرَ وفَتَرَ في طلب الأمر. والطِّلاب: مصدر طالَبَهُ مُطالَبَةً وطِلاباً. والمُوَسْوِس: الذي غلبت عليه الوسوسة، ولا يقال: رجلٌ مُوَسْوَس، انظر اللسان (وسس).

(٣) أنضى الدابّة: هزلها وأتعبها. والجَأْب: الغليظ. والهَمَلَّع: الخفيف السريع؛ يعني: وأنضوا في السير إليه كلَّ جملٍ غليظِ الخَلْقِ خفيفٍ سريعٍ. والوجناء: الناقة الضخمة. والعِرْمِس: الناقة الصلبة الشديدة، وقيل: الأديبة الطَّيِّعَة القياد.

(٤) اختزله عن حاجته: قطعه عنها. والمَهْمَهُ: المفازة البعيدة. ويَكِلُّ: يتعب، ويضعف. والوَهْم: الجمل الضخم. والجُلال: الجليل، أي: الضخم. والفَجَنَّس: أي الجمل المتكبّر، مأخوذ من الفَجْس، وهو العظمة والتكبّر والتطاول؛ والنون في قوله «الفجنّس» زائدة للمبالغة، ولم ترد هذه الصيغة في اللسان والقاموس (فجس).

١٢ أَيُرْضِيكُمْ رَبٌّ قَلِيلٌ غَنَاؤُهُ عَنِ العَابِدِيهِ الدَّهْرَ أَبْكَمُ أَخْرَسُ (١)

١٣ قُطَيْعَةُ صَخْرٍ قَرَّعَ الفَحْلُ رَأْسَهُ وَأَرْبَعَهُ حَسًّا فَلَا يَتَنَفَّسُ (٢)

١٤ مَضَى مَنْ مَضَى مِنْكُمْ بِغَيْرِ بَصِيرَةٍ نُهْتُهُ وَكَمْ سِيقَتْ إِلَى النَّارِ أَنْفُسُ

١٥ هَلُمُّوا إِلَى نُصْحِ النَّصُوحِ الَّذِي أَتَى بِحَقٍّ مُنِيرٍ وَجْهُهُ لَا يُحَبَّسُ

١٦ فَمَا فِيكُمُ لِلَّهِ كُتْبٌ مَحَجَّةٍ فَيَعْرِفُهَا حَبْرٌ وَلَا مُتَبَرْنِسُ (٣)

---

(١) أُغْنِيَ عَنْهُ غَنَاءً : نَفَعَهُ وأَجْزَأَ عنه ، وأرادَ بقوله : «ربٌّ قليل غناؤه» الصَّنمَ . والأبكم : الأخرس ، وقال : «أَبْكَمُ أَخْرَسُ» وهما بمعنى واحدٍ ، للمُبَالَغَةِ في الوصف. يقول : هذا الصَّنم الذي تعبدونه لا يَنْطِقُ ولا يُبِينُ لِعابِدِيهِ أَبَدَ الدَّهْرِ .

(٢) قَرَّعَ رأسَهُ : ضَرَبَهُ ضَرْبًا شديدًا . والحَسُّ : الاستئصال.

(٣) المَحَجَّةُ : الطَّريق المستقيم . والحَبْرُ : واحِدُ أَحبار اليهود ، وهم علماؤه ؛ والحَبْرُ أيضًا : العالِمُ عامَّةً ، وكان يُقال لعبدالله بن عباس الحَبْرُ والبَحْرُ ، لِعِلْمِه . والمُتَبَرْنِس : النَّاسِكُ الذي يَلْبَسُ البُرْنُسَ ، وهو القَلَنْسُوَةُ الطَّويلة ؛ والبُرْنُسُ أيضًا : كلُّ ثوبٍ رأسُه منه مُلْتَزِقٌ به .

١٧ فَلا ٱللهُ يَرْضَى إِنْ عَبَدْتُمْ سَوَاءَهُ ... وَلَمْ يَأْتِكُمْ وَحْيٌ مِنَ ٱللهِ يُدْرَسُ[1]

١٨ فَلا ٱلْمُوسَوِيُّونَ ٱرْتَضَوْهُ لِدِينِكُمْ ... وَلا ٱلْعِيسَوِيُّونَ ٱلَّذِينَ تَشَمَّسُوا[2]

١٩ وَلا مُوقِدُو ٱلنَّارِ ٱلَّذِينَ بِفَارِسٍ ... يَرَوْنَ لَكُمْ عُذْراً إِذَا مَا تَفَرَّسُوا[3]

٢٠ فَمَا فِي بَنِي ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلأَرْضِ خَالِدٌ ... وَكُلُّهُمُ لابُدَّ مَيْتٌ سَيُرْمَسُوا[4]

٢١ وَكُلُّهُمُ لِلَّهِ فِي ٱلْبَعْثِ مُنْشَرٌ ... مُجَازًى مُوَفًّى حَقَّهُ لَيْسَ يُبْخَسُ[5]

---

(١) سَوَاءَهُ، بفتح السِّين: أي سِوَاهُ، بكسر السِّين، وكلاهما بمعنى: غيره. وجملة: «ولم يأتكم وحيٌ ...» حاليّة.

(٢) في الأصل: «فلا الموسَوِيِّين ..» وَهْمٌ.
والمُوسَوِيّون: اليهود، مَنْسوبون إلى مُوسى بن عِمران عليه السَّلام. والعيسَوِيّون: النَّصارى، منسوبون إلى عيسى عليه السَّلام. وقوله: «ارتَضَوْهُ لدينِكُمْ» أي: ارتضَوْا دينَكُم. وتَشَمَّسوا: أَصْبَحُوا شَمامِسَةً، والشَّمَّاس: مِن رؤساء النَّصارى، ورُتْبَتُه دُونَ رُتْبَةِ القِسِّيس.

(٣) مُوقِدو النّار بفارِس: هم المجوس الّذين يعبدون النّار. وتفرَّسَ في الشيء: نَظَرَ وتَثَبَّتَ.

(٤) في الأصل: «... خالداً ... ميتاً ...» وَهْمٌ.
ورَمَسَهُ يَرْمُسُه: دفَنَهُ وسَوَّى عليه الأرضَ.

(٥) أَنْشَرَ اللهُ المَيْتَ: نَشَرَهُ وبعثَه للحِساب، قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾. وبَخَسَهُ حَقَّهُ: ظَلَمَهُ ولم يُوَفِّهِ إيّاه، قال تعالى: ⟸

٢٢ فَقَوْمٌ إِلَىٰ نَارِ الْجَحِيمِ مَصِيرُهُمْ بِإِفْلَاسِهِمْ وَالْعَابِدُ الصَّخْرَ أَفْلَسُ (١)

٢٣ وَقَوْمٌ بِجَنَّاتِ الْخُلُودِ مُقَامُهُمْ ثِيَابُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَسُنْدُسُ (٢)

٢٤ فَيَاقَوْمِ هَاتِيَا إِلَيْكُمْ نَذَارَةً فَجِدُّوا لِإِنْذَارِي وَلَا تَتَحَبَّسُوا (٣)

⇐ ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ لَا يُبْخَسُونَ. أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ .

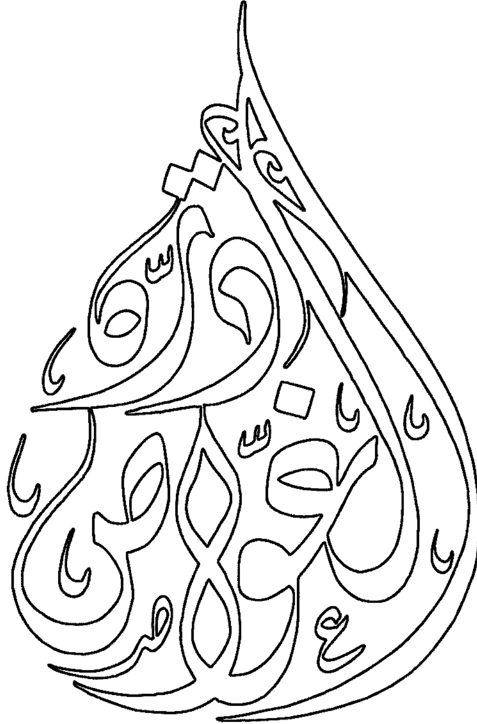
(١) المُرادُ بالمُفْلِسِ في هذا البيت المُفْلِسُ الحقيقيّ الّذي أَخْبَرَ عنه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم في الحديث الذي رواه مُسْلِم بِسَنَدِهِ عَنْ أبي هُرَيرةَ رضي الله عنه أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال: « أَتَدْرُونَ مَا المُفْلِسُ ؟ » قالوا: المُفْلِسُ فِينا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاع ؛ فقال: « إِنَّ المُفْلِسَ مِن أُمَّتِي: يَأْتِي يَوْمَ القِيامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وزَكَاةٍ ، ويَأْتِي وقَدْ شَتَمَ هذا وقَذَفَ هَذا وأَكَلَ مالَ هَذا وسَفَكَ دَمَ هَذا ، وضَرَبَ هَذا ؛ فَيُعْطَىٰ هذا مِن حَسَناتِهِ وهذا مِنْ حَسَناتِه ، فإِنْ فَنِيَتْ حَسَناتُه قَبْلَ أَن يُقْضَىٰ ما عَلَيْهِ أُخِذَ مِن خَطاياهم فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طُرِحَ في النَّار » صحيح مُسْلِم ٤: ١٩٩٧.

(٢) السُّنْدُس: ضَرْبٌ مِن الحرير رَقيقٌ.

(٣) يا قَوْمُ: يجوزُ في الميم الضَّمُّ والكَسْر ؛ فالضَّمُّ على أنّه مُنادىً نَكِرَةٌ مَقْصودة ، والكَسْرُ على أنّه مُنادىً مُضافٌ إلى ياءِ المتكلِّم ، ثُمَّ حُذِفَتِ الياءُ وأُبْقِيَتِ الكَسْرَةُ عنها . وهَاتِيَا: بمعنى هَذِهِ. والنَّذارة: الإنذار. وتَحَبَّسَ عَنِ الأَمْرِ: حَبَسَ نَفْسَهُ عَنْهُ .

٢٥ فَمَنْ يَقْتَبِلْ نُصْحِي يُوَافِ وَوَجْهُهُ   مِنَ الذَّنْبِ فِي يَوْمِ القِيَامَةِ أَمْلَسُ[١]

٢٦ وَمَنْ يَأْبَ نُصْحِي يَأْتِهِ المَوْتُ كَارِهًا   وَيَلْقَ مَلِيكَ المَوْتِ وَهْوَ مُعَبِّسُ[٢]



---

(١) اقْتَبَلَ النُّصْحَ: أيْ قَبِلَهُ وأَخَذَهُ عن طِيبِ خاطِرٍ. و«يُوافِ» مَجْزومٌ لأنَّه جَوابُ الشَّرْطِ، وعلامَةُ جَزْمِه حَذْفُ حَرْفِ العِلَّةِ؛ ووافَى المَكانَ: أتاهُ. والأَمْلَسُ: اللَّيِّنُ النَّاعِمُ؛ يعني أنَّه يأتي ولا أَثَرَ للذَّنْبِ على وَجْهِهِ يومَ القيامة.

(٢) أَبَى النُّصْحَ: كَرِهَهُ ولَمْ يَرْضَه. والمُعَبِّس: الشَّديدُ العُبوسِ.

وَقَالَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ :

[مِنَ المُتَقَارِب]

١ أَشَاقَكَ بِالمُنْتَصَى مَنْزِلُ جَلَا أَهْلُهُ عَنْهُ وَٱسْتَبْدَلُوا (١)

٢ وَجَرَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ أَذْيَالَهَا فَكَيْفَ يُجَاوِبُ أَوْ يُسْأَلُ

٣ تَحَمَّلَ مَنْ كَانَ يَغْنَى بِهِ وَأَقْفَرَ بَعْدَهُمُ ٱلْمَنْزِلُ (٢)

٤ وَصَارَ مَعَاناً لِوَحْشِ الفَلَا فَهَاتَا تَخُبُّ وَتَا تُرْقِلُ (٣)

٥ إِذَا أَقْرَضَتْ تُرْبَهُنَّ الجَنُوبُ شَمَالاً أَفَاءَتْ بِهِ ٱلشَّمْأَلُ (٤)

---

(١) شاقَهُ : هاجَ شَوْقَه . والمُنْتَصَى : أعلى الوادِيَيْنِ ، واسمُ مَوْضِع. وجَلا القَوْمُ : تَرَكوا بلادَهم مِن جَدْبٍ أو غيرِه . واسْتَبْدَلوا: أي اتَّخَذُوا مَنزِلاً بَدَلاً مِن مَنْزِلِهم .

(٢) غَنِيَ بالمنزل : أَقامَ فيه ، وطالَ مُقامُه فيه . وأَقْفَرَ المكانُ مِن أَهْلِه : خَلا .

(٣) المَعَانُ : المنزل . والوَحْشُ : حيوانُ البَرِّ ، كالحُمُرِ والبَقَرِ والظِّباءِ وغيرِها . والفَلا : جَمْعُ الفَلاةِ ، وهي الأرضُ الواسِعَةُ المُقْفِرَة . وهاتا: هذه . وتا: هذه . وتَخُبُّ : تَعْدُو . وتُرْقِلُ : تُسْرِعُ في عَدْوِها .

(٤) أَقْرَضَه : أعطاه قَرْضاً ؛ يريد : إذا نَقَلَتْ ريحُ الجَنُوبِ تُرابَ المنازِل إلى جهة الشَّمال ، أَعادَتْه ريحُ الشَّمال إلى جِهَةِ الجنوب . وأفاءَتِ الشَّمْأَلُ للتُّرابَ : أَرْجَعَتْه ؛ والباء في قوله : « أفاءَتْ به » زائدة . والشَّمْأَل ريحُ الشَّمال .

٦ فَهَاتَانِ أَخْلَقَتَا رَسْمَهُ وَلَمْ تَأْلُ هَتَّانَةٌ تَهْطِلُ [١]

٧ أَتَسْأَلُ مَنْ لَا يُجِيبُ السُّؤَالَ وَهَلْ يَنْطِقُ الْخَلَقُ الْمُحْوِلُ؟ [٢]

٨ وَكَيْفَ تَصَابِي الَّذِي قَدْ أَتَتْ لَهُ أَرْبَعُو سَنَةٍ كُمَّلُ؟ [٣]

٩ وَأَعْلَمَهُ شَيْبُهُ عَنْ هَوَاهُ وَنِعْمَ الْبَدِيلُ الَّذِي يُبْدَلُ [٤]

---

(١) في الأصل : « ... ولم تأل حعاته تهطل » تحريف .
وأَخْلَقَتِ الرِّيحُ المنزلَ : أَذْهَبَتْ آثارَه ومَحَتْهَا ؛ مأخوذٌ من قولهم: أَخْلَقَ الثوبَ ونحوَه إذا أَبْلاهُ . ورَسْمُ المنزل : الأَثَرُ الباقي من المنزل بعد أنْ عَفا . والهَتَّانَةُ : السَّحابَةُ الكثيرةُ التَّهْتانِ ، وهو انْصِبابُ المَطَر . ولم تَأْلُ : لم تُقَصِّر ؛ يُقال : أَلَا أَلْواً وأُلُوّاً وأُلِيّاً إذا قَصَّرَ أو أَبْطَأَ .
يقول : فهاتان الرِّيحان - أي الجَنوب والشَّمال - مَحَتا آثارَ المنزل ، وكذلكَ السَّحابُ الكثيرةُ الهَطَّالةُ لم يُقَصِّر في مَحْوِ آثارِه .

(٢) الخَلَقُ : البالي . والمُحْوِلُ : المنزل المتغيِّر الذي أَتَتْ عليه أَحوالٌ (سِنُون) .

(٣) تصابى تَصابِياً : تَكَلَّفَ الصِّبا ، وهو المَيْلُ إلى اللَّهْوِ ، والشَّوْقُ والحنينُ . وكُمَّل : كاملة . وحُذِفَتْ نُونُ الأَربعينَ في قوله : « أَربَعُو سَنَةٍ » للإضافة .

(٤) الهاء في قوله : « وأَعْلَمَهُ » عائد على الاسم الموصول « الذي » في البيت السابق . والهَوَى : مَيْلُ النَّفْسِ إلى الشيءِ ، والشيء الذي تهواه . يقول : إنَّ الشَّيب دَلَّهُ على ما يَجِبُ مِن الهِدايَة والاستقامة والبُعد عن اللَّهو والتَّصابي .

١٠ وَمَالَ بِهِ عَنْ طَرِيقِ الضَّلَالِ   مُحَمَّدٌ الصَّادِقُ الْمُرْسَلُ

١١ وَلَمَّا رَأَى اللهُ مِنْ خَلْقِهِ   ضَلَالاً أَتَاهُمْ بِهِ الضُّلَّلُ (١)

١٢ فَلَمْ يَعْرِفُوا اللهَ فِي أَرْضِهِ   وَلَا كَبَّرُوهُ وَلَا هَلَّلُوا

١٣ تَنَخَّبَ مِنْ خَلْقِهِ مُرْسَلاً   لِيَجْلِسَ مِنْهُمْ لَهُ الْعُمَّلُ (٢)

١٤ وَأَحْسَنَ فِي لُطْفِهِ مُجْمِلاً   وَمَنْ غَيْرُهُ الْمُحْسِنُ الْمُجْمِلُ (٣)

١٥ فَرَدُّوا عَلَى رَبِّهِمْ نُصْحَهُ   وَلَمْ يَرْتَضُوهُ وَلَمْ يَقْبَلُوا

١٦ وَمَا زَالَ يَغْلِبُهُمْ لِلْهُدَى   وَأَمْرُهُمُ الأَرْذَلُ الأَسْفَلُ

١٧ فَأَسْعَدَ قَوْماً بِهِ رَبُّهُمْ   فَأَضْحَوْا وَحُكْمُهُمُ الأَعْدَلُ

١٨ وَمِيزَانُ غَيْرِهِمُ شَائِلٌ   وَوَزْنُهُمُ الأَرْجَحُ الأَثْقَلُ (٤)

---

(١) الضُّلَّلُ: جمع الضَّالّ.

(٢) تَنَخَّبَهُ: اختاره وانتقاه. والعُمَّل: جمع العامل.

(٣) اللُّطْفُ: الرِّفق والرأفة. وأَجْمَلَ: اصْطَنَعَ الجميلَ وأَحْسَنَ، فهو مُجْمِلٌ.

(٤) شالَ ميزانُ الرَّجُلِ: غُلِبَ، مأخوذ من شَوَلانِ إحدى كِفَّتَي الميزان - أي من ارتفاعها - وذلك لأنها أخفّ الكفتين.

١٩	فَآمَنْتُ بِاللهِ إِذْ جَاءَنَا	كِتَابٌ لَهُ مُحْكَمٌ مُنْزَلُ [1]
٢٠	وَصَدَّقْتُ أَحْمَدَ وَهْوَ الَّذِي	حَبَانَا بِهِ الْمُنْعِمُ الْمُفْضِلُ [2]
٢١	فَسَنَّ الصَّلَاةَ لَنَا وَالزَّكَاةَ	وَبِرّاً بِذِي رَحِمٍ يُوصَلُ [3]
٢٢	وَسَنَّ الصِّيَامَ لَنَا وَالْقِيَامَ	مُوَلًّى إِلَى اللهِ لَا تَجْهَلُوا [4]
٢٣	وَحَجّاً إِلَى اللهِ فِي بَيْتِهِ	لِمَنْ كَانَ ذَاكَ لَهُ يَسْهُلُ
٢٤	وَأَمْراً بِعُرْفٍ وَنَهْياً عَنِ الْـ....	ـمَنَاكِرِ فِي كُلِّ مَا يَفْعَلُ [5]
٢٥	تَقَبَّلْتُ ذَلِكَ مِنْ عِلْمِهِ	وَمَا زَالَ فِي حُكْمِهِ يَعْدِلُ

---

(١) المُحْكَم: المُتْقَن الذي لا خَلَلَ فيه ولا نقص، قال تعالى:
﴿ الر ، كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾.

(٢) أَفْضَلَ عليه: أحسن إليه، فهو مُفْضِل.

(٣) سَنَّ الصَّلاةَ: بَيَّنَها. والبِرّ: الخير.

(٤) في الأصل: « ... لا تَجْهَلُوا » تحريف.
ومُوَلًّى إلى الله: أي مُسْتَقْبِلاً بالصِّيام والقِيام وَجْهَ اللهِ تعالى. وقوله: « لا تجهلوا » أي لا تَسْتَقْبِلُوا بِصِيامِكُم وقِيامِكُمْ وَجْهَ أَحَدٍ غيرِ اللهِ فتكونوا من الجاهلين.

(٥) العُرْف: المعروف.

٢٦ وَجاهَدَتْ فِي ٱللهِ أَعْداءَهُ الَّـ ... ـذِينَ بِهِمْ رَبُّنا يَمْحَلُ[1]

٢٧ وَنَفَّلَنا ٱللهُ أَمْوالَهُمْ فَنَأْسِرُهُمْ بَعْدَما نَقْتُلُ[2]

٢٨ وَعِنْدَهُمْ أَنَّهُمْ ثَابِتُونَ عَلَى الْحَقِّ لَمْ يَعْدُهُمْ مَشْغَلُ[3]

٢٩ وَما يَعْلَمُونَ وَما يَشْعُرُونَ بِأَنَّ الْجَحِيمَ لَهُمْ تَشْعَلُ

٣٠ وَكَمْ سَيِّدٍ لَهُمُ فِي ٱللِّقَا ... غُودِرَ فِي صِرَّةٍ يَسْعَلُ[4]

٣١ إِذا أَظْلَمَ ٱللَّيْلُ مِنْ دُونِهِ عَفَتْهُ جَعَارِ ٱلَّتِي تَقْزِلُ[5]

---

(١) يَمْحَلُ: يَمْكُرُ، والمَحْلُ: المَكْرُ، وكذلكَ المِحالُ، قال الله تعالى: ﴿وَاللهُ شَدِيدُ الْمِحالِ﴾

(٢) نَفَّلَنَا اللهُ أموالَهم: جَعَلَها نافلةً لنا، والنَّافِلَةُ: الغَنِيمة.

(٣) لَمْ يَعْدُهُمْ: لم يَصْرِفْهُم، تقول: عَدَاهُ عَنِ الأَمْرِ، إذا صَرَفَهُ وشَغَلَهُ. والمَشْغَل: مَصْدَرٌ مِيمِيٌّ مِن قولهم: شغله عن الأمرِ إذا لَهَاهُ وصَرَفَه، فمعنى قوله: «لم يَعْدُهُم مَشْغَل» لم يَصْرِفْهُمْ ولم يَشْغَلْهُمْ عن دينهم الذي هم عليه شُغْلٌ.

(٤) في الأصل: «... في اللِّقا وعُودٍ رَمَى صَدَّة ..» تحريف وتصحيف. والصِّرَّة: شِدَّة البَرْد. يعني أنَّه تُرِكَ مطعوناً في العَرَاء، فهو يَسْعَلُ مِن الطَّعنة ومِن البرد.

(٥) عَفَتْهُ: أي جاءَتْهُ، تقول: عَفَا فلانٌ فلاناً واعْتَفَاهُ إذا أتاه يَطْلُبُ معروفَه. وجَعَارِ: اسمٌ للضَّبُع، وهي مبنيّة على الكسر ⟸

٣٢ وَإِنْ قَدْ أَضَاءَ عَلَيْهِ النَّهَارُ ... أَتَتْهُ سَرَاحِينُهُ الْعُسَّلُ[1]

٣٣ وَإِنْ دَوَّمَتْ شَمْسُهُ فَوْقَهُ ... أَظَلَّتْهُ غِرْبَانُهُ الْحُجَّلُ[2]

٣٤ وَآخَرَ مِنْهُمْ حَلِيفُ الصَّغَارِ ... عَنِ السَّرْجِ بِالْكَرِّ مُسْتَنْزَلُ[3]

٣٥ مُغِيظٍ عَلَى مَالِكِي أَسْرِهِ ... يُخَالُ عَلَى أَنْفِهِ دُمَّلُ[4]

⇐ كَحَذَامِ وقَطَامِ. وتَغْزِلُ: تَتَبَخْتَرُ في مشيها ؛ وتقزل، أيضاً: تَعْرُجُ ، والمعنى الأوَّل أَوْلَى بالمراد.

(١) السَّراحينُ : جمع السِّرحان ، وهو الذِّئب . والعُسَّل : جمع العاسل ؛ وعَسَلَ الذِّئبُ : عَدَا واهتزَّ في عَدْوِه.

(٢) دَوَّمَتِ الشَّمْسُ : دارت في السَّماء . والحُجَّل : جمع الحاجِل ؛ وحَجَلَ الغُرَابُ : نَزَا في مَشْيِهِ نَزَواناً كما يَحْجُلُ المُقَيَّدُ .

(٣) الصَّغار : الذُّلُّ . واسْتُنْزِلَ عَنْ سَرْجِ فَرَسِهِ : قيل لَهُ نَزَالِ ، أي انزِل عنه ؛ يُريدُ أنَّهُ يُسْتَنْزَلُ لِيُؤْسَرَ .

(٤) غاظَ فلانٌ فلاناً يَغيظُهُ : أَغْضَبَه أَشَدَّ الغَضَب ، فهو مُغيظٌ . والدُّمَّل : واحِدُ الدَّماميل التي تتقرَّح ؛ وكَنَى بقوله : « يُخال على أنفِهِ دُمَّلُ » عَنْ شِدَّةِ الغَضَب ، لأنَّ الدُّمَّل يُسَبِّبُ وَرَماً ، والعَرَبُ تقول : وَرِمَ أَنْفُ فلانٍ ، بمعنى غَضِبَ ؛ وقد وَرَدَت هذه الكناية في كلمة لأبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه في مَرَضِهِ الذي ماتَ فيه ، قال : « وَقَدْ وَلَّيْتُ أُمُورَكُمْ خَيْرَكُمْ [يعني عُمَرَ بنَ الخطَّاب رضي الله عنه] فَكُلُّكُمْ وَرِمَ أَنْفُهُ على أنْ يكونَ له الأمْرُ مِن دونِه » أي : امتلأَ أنفُهُ وانتفخ مِن ذلكَ غَضَباً ؛ وخَصُّوا الأنفَ بالذِّكر لأنَّه مَوْضِعُ الأَنَفَةِ والكِبر ؛ انظر اللِّسان (ورم) ، والكامل للمبرِّد : ١١ .

[٢٤]

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَمْدَحُ الْأَنْصَارَ وَيَذْكُرُ فَضْلَهُمْ :

[مِنَ الطَّوِيل]

١ أَتَذْكُرُ دَاراً بَيْنَ دَمْخٍ وَمَنْوَرَا ... وَقَدْ آنَ لِلْمَحْزُونِ أَنْ يَتَذَكَّرَا (١)

٢ دِيَارٌ لَنَا كَانَتْ وَكُنَّا نَحُلُّهَا ... لَدَى الدَّهْرُ سَهْلٌ صَرْفُهُ غَيْرُ أَعْسَرَا (٢)

٣ فَحَالَ قَضَاءُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ... فَمَا أَعْرِفُ الْأَطْلَالَ إِلَّا تَذَكُّرَا (٣)

٤ قَضَى اللَّهُ أَنْ أَوْحَى إِلَيْنَا رَسُولَهُ ... مُحَمَّداً الْبَرَّ الزَّكِيَّ الْمُطَهَّرَا (٤)

٥ فَأَنْقَذَنَا مِنْ حَيْرَةٍ وَضَلَالَةٍ ... فَفَازَ بِدِينِ اللَّهِ مَنْ كَانَ مُبْصِرَا

---

(١) دَمْخ : اسمُ جَبَلٍ مُرتفع . و مَنْوَر : اسم جَبَل .

(٢) في الأصل : « ... و كنّا نحيلها ... أعشرا » تحريف وتصحيف .

و لَدَى : ظرف زمان بمعنى : عندما ، ويأتي ظرفَ مكان بمعنى : عند ؛ وهو هاهنا مُضاف إلى جملة « الدَّهْرُ سَهْلٌ صَرْفُه » . و الدَّهرُ الأعسر : الشديد . و صَرْفُ الدّهر : نَوَائبُه و حِدْثانُه .

(٣) حالَ بينَه وبين مُرادِه : حَجَزَ بينهما .

(٤) في الأصل : « .. أَنْ أَرْسَلَ إلينا ... » وبه يختلّ الوزن ، وقدّرتُ أنّ فيه تحريفاً صوابُه « .. أَنْ أَوحى إلينا .. » .

و أَوحى : بعث ؛ تقول العربُ : أَوحى الرّجُلُ إذا بعث برسولٍ ثقةٍ إلى عبدٍ مِن عَبيدِه ثِقَةٍ .

٦ وَكَانَ رَسُولُ اللهِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الرَّ ... رَشَادِ وَلَا يَأْلُو مَسَاءً وَمَسْفَرَا[1]

٧ فَيَسَّرَ قَوْماً لِلْهُدَى فَتَقَدَّمُوا وَأَهْلَكَ بِالعِصْيَانِ قَوْماً وَدَمَّرَا

٨ فَأَوْرَدَ قَتْلَى المُؤْمِنِينَ جِنَانَهُ وَأَلْبَسَهُمْ مِنْ سُنْدُسِ المُلْكِ أَخْضَرَا[2]

٩ تُحَيِّيهِمُ بِيضُ الوَلَائِدِ بَيْنَهُمْ وَيَسْعَرْنَهُمْ مِسْكاً ذَكِيّاً وَعَنْبَرَا[3]

١٠ وَأَوْرَدَ قَتْلَى المُشْرِكِينَ لِبُغْضِهِمْ جَحِيماً وَأَسْقَاهُمْ حَمِيماً مُسَعَّرَا[4]

---

(١) لا يألو: لا يُقصّر، ولا يُبْطِئ. والمَسْفَر: اسم زمان من قولهم: سَفَرَ الصّبحُ إذا أضاء؛ يقول: لا يقصّر في دعوتهم إلى الرّشاد مساءً ولا صباحاً.

(٢) السّندس: ضرب من الحرير رقيق.

(٣) في الأصل: «... بيض الولائد بدنهم ..» تحريف.

والولائد: جمع الوليدة، وهي الصبيّة، والجارية. وقوله: «يَسْعَرْنَهم مِسْكاً» أي يُطَيِّبْنَهُم به تطييباً بالغاً، على التشبيه له باستعار النار واشتعالها.

(٤) الحميم: الماء الحارّ؛ قال تعالى في وصف أهل النّار: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلَا شَرَاباً . إِلَّا حَمِيماً وَغَسَّاقاً﴾

١١ وَلَمْ يَبْعَثِ ٱللهُ ٱلنَّبِيَّ مُحَمَّداً بِإِيحَائِهِ إِلَّا لِيَسْنَى وَيَظْهَرا [(١)]

١٢ فَأَعْلَاهُ إِظْهَاراً عَلَى كُلِّ مُشْرِكٍ
وَحَلَّتْ بَلَايَاهُ بِمَنْ كَانَ أَكْفَرا [(٢)]

١٣ وَأَفْلَحَ مَنْ قَدْ كَانَ لِلَّهِ طَائِعاً فَخَفَّ إِلَى أَمْرِ ٱلْإِلَهِ وَشَمَّرا [(٣)]

١٤ وَآزَرَهُ أَبْنَاءُ قَيْلَةَ فَٱبْتَنَوْا مِنَ ٱلْمَجْدِ بُنْيَاناً أَغَرَّ مُشَهَّرا [(٤)]

---

(١) الإيحاء: الوَحي . و يَسْنَى : يرتفع .

(٢) أَكْفَر : أَشَدّ كُفْراً .

(٣) شَمَّرَ إلى الأمر: جَدَّ واجتهد.

(٤) آزَرَه: عاوَنَهُ وأَسْعَدَه ؛ وفي خَبَرِ سَقِيفَةِ بني سَاعِدة أَنَّ أبا بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه قال للأنصار : « لَقَدْ نَصَرْتُمْ وآزَرْتُمْ وآسَيْتُمْ » النهاية في غريب الحديث ١: ٤٤ ، واللّسان (أزر) . وأبناء قَيْلَة : هم الأنصار ، نُسِبُوا إلى أُمّهم قَيْلَة بنت الأرقم بن عمرو بن جفنة بن عمرو مُزَيقياء ، وهي أُمّ الأوس والخزرج ابنَيْ حارثة بن ثعلبة بن عمرو مُزَيقياء ، وهما والِدَا الأنصار ؛ جمهرة أنساب العرب: ٣٣٢. والأَغَرّ : المشهور ، والأبيض .

١٥ وَسَمَّاهُمُ الأَنْصَارَ أَنْصَارَ دِينِهِ
وَكَانَ عَطَاءُ اللهِ أَعْلَى وَأَكْبَرَا

١٦ وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ صَالِحًا فِي كِتَابِهِ فَكَانَ الَّذِي أَثْنَى أَجَلَّ وَأَكْثَرَا

١٧ رَأَى لَهُمُ فَضْلاً فَأَعْطَاهُمُ المُنَى
وَكَانَ بِمَا أَعْطَى أَطَبَّ وَأَبْصَرَا [1]

١٨ فَلَمَّا أَبَانَ الخَيْرَ فِيهِمْ أَجَادَهُمْ وَلَيْسَ مُجَادٌ مِثْلَ مَنْ كَانَ مُحْصَرَا [2]

١٩ وَكَمْ بَذَلُوا لِلَّهِ جُهْدَ نُفُوسِهِمْ فَصَارُوا بِذَاكَ البَذْلِ مِنْ سَادَةِ الوَرَى [3]

---

(١) أَطَبُّ: أَعْلَمُ ، والطَّبُّ: العالِم.

(٢) في الأصل: «... من كان محصرا» تحريف.

وأَبانَ الخيرَ فيهم: أَظْهَرَهُ وأوضحه ، ولعلَّ في كلمة (أبان) تحريفاً صوابُه «أرادَ».

وأجادَهم: وَجَدَهم ذوي جُودٍ وسخاء. والمُحْصَر: مَن اختُبِرَ فَوُجِدَ بخيلاً ، على خلاف المُجادِ ، والمُحْصَر مُشْتَقٌّ مِنَ الحَصَرِ وهو البُخْلُ.

(٣) الجُهْدُ: المَشَقَّةُ. والوَرَى: الخَلْقُ.

٢٠ فَهُمْ خِيرَةُ الرَّحْمَنِ مِنْ كُلِّ مُشْرِكٍ
وَكُلِّ يَهُودِيٍّ وَمَنْ قَدْ تَنَصَّــرَا

٢١ وَآوَوْا رَسُولَ اللهِ إِذْ حَلَّ دَارَهُمْ بِلَا ضَجَرٍ خُلْقاً سَجِيحاً مُيَسَّرَا[1]

٢٢ وَلَمْ يَمْنَعُوا الْأَعْدَاءَ إِلَّا مُقَوَّماً أَصَمَّ رُدَيْنِيّاً وَعَضْباً مُذَكَّرَا[2]

٢٣ أُبَاةٌ يَفُوزُ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْهُمُ وَسَوْفَ يَنَالُ الْفَوْزَ مَنْ قَدْ تَأَخَّرَا[3]

---

(١) آواه : ألجأه ، وأسكنه وأنزله . والخُلُق السَّجيح : السَّهلُ اللَّيِّنُ . وقال الله تعالى في المهاجرين والأنصار : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ .

(٢) المُقَوَّم : الرُّمْحُ الَّذِي قوَّم صانِعُه قناتَه . والأصمّ : الرّمح الصُّلْب . والرُّدَيْنِيّ : الرّمح المنسوب إلى رُدَيْنة ، وهي امرأة كانت تُقَوِّمُ الرِّماح . والعَضْبُ : السَّيْفُ القاطِع . والمُذَكَّر : السَّيْف ذو الرَّوْنَق ، أي ذو الحُسْنِ والزِّينة ، والسّيف الشّديد الجيّد .

(٣) في الأصل : « أبان يفوز ... » تحريف .

٢٤ هُمُ ابْتَدَرُوا في يَوْمِ بَدْرٍ عَدُوَّهُمْ   بِكُلِّ امْرِئٍ في الرَّوْعِ لَيْسَ بِأَوْجَرا [1]

٢٥ عَلَى كُلِّ غَوْجٍ أَخْدَرِيٍّ مُعَاوِدٍ   يُرَى المَاءُ عَنْ أَعْطَافِهِ قَدْ تَحَدَّرَا [2]

٢٦ كَأَنَّ عَلَى كِتْفَيْهِ وَاللَّيْلُ مُظْلِمٌ   إِذَا زَبَنَتْهُ الحَرْبُ في الرَّوْعِ قَسْوَرَا [3]

٢٧ يَطَأْنَ القَنَا وَالدَّارِعِينَ كَأَنَّمَا   يَطَأْنَ قَوَارِيرَ العِرَاقِ مُكَسَّرَا [4]

---

(١) ابْتَدَرُوا عَدُوَّهم: تَسَارَعُوا إليه. والرَّوْع: الحَرْب. والأَوْجَر: الخائفُ الجَبَانُ، يقال: وَجِرَ مِنَ الأَمر يَوْجَرُ إذا أَشْفَق منه وخاف.

(٢) في الأصل: «... عوج أحذريٍّ ..» تصحيف.
وفَرَسٌ غَوْجٌ: وَاسِعُ جِلْدِ الصَّدْرِ، ولَيِّنُ الأَعْطاف. والأَخْدَرِيّ: الفرس المنسوب إلى أَخْدَر، وهو فَحْلٌ مِنَ الخيل. والمُعَاوِدُ: المُوَاظِبُ، يعني أنَّه يُواظِبُ على العَدْوِ ولا ينالُ منه التَّعَبُ. والماءُ، هنا: العَرَق. والأَعطاف: الجوانب.

(٣) زَبَنَتْهُ الحربُ: دَفَعَتْهُ، والحَرْبُ الزَّبُون: التي تَزْبِنُ النَّاسَ، أي تَصْدِمُهم وتَدفعهم، أو أنَّ بعضَ أهلها يدفع بعضاً. والرَّوْع: الفَزَع، والحَرْب. والقَسْوَرُ: الأَسَدُ.

(٤) وَطِئَ الشَّيْءَ: دَاسَهُ. والقَنَا: جمع القَنَاة، وهي الرُّمْحُ الأَجْوَفُ. والدَّارِعُون: جَمْعُ الدَّارِع، وهو لَابِسُ الدِّرْعِ.

٢٨ فَكَانَتْ رِجَالُ الْمُشْرِكِينَ وَخَيْلُهُمْ يَرَوْنَ بِهِنَّ الْمَوْتَ أَسْوَدَ أَحْمَرَا

٢٩ إِلَى أَنْ أَعَزَّ اللهُ مَنْ كَانَ بِالْهُدَى مُقِرًّا وَرَدَّى الذُّلَّ مَنْ كَانَ أَنْكَرَا (١)

٣٠ وَأَوْطَا نَبِيَّ اللهِ أَطْرَافَ مَكَّةٍ وَأَدْخَلَهُ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ الْمُسَتَّرَا (٢)

٣١ فَطَهَّرَ مِنْ أَرْجَاسِ مَكَّةَ بُقْعَةً حَقِيقٌ لَهَا أُكْرُومَةً أَنْ تُعَطَّرَا (٣)

٣٢ بِأَيْدِي رِجَالٍ لَا يُرَامُ لَهُمْ حِمًى إِذَا لَبِسُوا فَوْقَ الدُّرُوعِ السَّنَوَّرَا (٤)

---

(١) في الأصل : «... وردّ الذلّ ..» وهمٌ.
وأقرَّ بالهدى : اعترف به ، وانقاد له. وردّاه الذلَّ : ألبسه ثوبَ الذلّ.

(٢) أوطأه الأرضَ : جعله يطؤها ، أي يدوسها ؛ وهي كناية عن السيطرة عليها.

(٣) الأرجاس : جمع الرِّجْس ، وهو الكُفْر ، والفِعْلُ القبيح ، والقَذَرُ ؛ وقوله : «من أرجاس مكّة» أي من أرجاس أهل مكّة من المشركين. و «أُكرومةً» منصوب على أنه مفعول لأجله.

(٤) رامَ الشيءَ : طَلَبَهُ ؛ وقوله : «لا يُرامُ لهم حِمًى» كناية عن مَنَعَتِهِمْ . والسَّنَوَّر : جُمْلَةُ السلاح.

٣٣ فَمَا زَالَتِ الأَصْنَامُ تَحْبُطُ كُلَّمَا أَشَارَ إِلَى مِنْهَا وَثِيقٍ تَفَطَّرَا[1]

٣٤ فَأَرْبَحَ أَقْوَامًا بِأَنْفَعِ سَعْيِهِمْ

وَضَرَّ أُنَاسًا آخَرِينَ وَأَخْسَرَا

٣٥ وَوَفَّى النَّبِيَّ اللهُ مَا كَانَ أَوْعَدَا مِنَ النَّصْرِ وَالْفَتْحِ الْمُبِينِ لِيَغْفِرَا[2]

٣٦ فَحَجَّ إِلَيْهِ النَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

بِأَحْسَنِ دِينِ اللهِ خُلْقًا وَمَنْظَرَا

---

(١) حَبِطَ الشيءُ يَحْبَطُ، وحَبَطَ يَحْبِطُ: بَطَلَ. وتَفَطَّرَ الشيءُ: تَشَقَّقَ أَوْ تَصَدَّعَ. وفي البيت تقديم وتأخير، والأصل: كلما أشار إلى وثيقٍ منها تَفَطَّر. والوَثِيقُ: القَوِيُّ المُحْكَم. وفي خَبَرِ فتح مكّة أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم دَخَلَها على راحِلَتِه، فطافَ عليها، وحَوْلَ البيت الحرام أصنامٌ مَشْدُودةٌ بالرَّصاص، فجعل النبيّ عليه السّلام يُشِيرُ بقَضِيبٍ في يَدِهِ إلى الأصنام ويقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ فما أشار إلى صَنَمٍ إلّا وَقَعَ. انظر السّيرة النبويّة - لابن هشام ٤: ٥٩.

(٢) قال الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا. لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾

٣٧ كَمَا شَاءَهُ الرَّبُّ العَظِيمُ وَمَا يُرِدْ

يَكُنْ ، لَمْ يَخَفْ رَاجُوهُ أَنْ يَتَعَذَّرَا [١]

٣٨ قَضَى اللهُ بِالإِسْلَامِ عِزّاً وَرِفْعَةً

وَكَانَ قَضَاءُ اللهِ حَتْماً مُقَدَّرَا [٢]



---

(١) تَعَذَّرَ عليهِ الأَمْرُ : شَقَّ وتَعَسَّرَ .

(٢) في البيتِ اقتباس مِن قَوْله تعالى : ﴿... وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَقْدُوراً﴾ .

[٢٥]

وَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

[مِنَ الوافِر]

١ أَشَاقَكَ بِالمَلَا دِمَنٌ عَوَافٍ عَفَاهَا القَطْرُ بَعْدَكَ وَالسَّوَافِي ؟ (١)

٢ هَفَا ، وَقُلُوبُ هٰذَا الخَلْقِ طُرّاً إِلَى أَوْطَانِهَا أَبَداً هَوَافِ (٢)

٣ لَيَالِيَ إِذْ نَحُلُّ بِهَا جَمِيعاً وَلَيْسَ سِوَى المَوَدَّةِ وَالتَّصَافِي

٤ إِلَى أَنْ قَدَّرَ الرَّحْمٰنُ أَمْراً فَأَظْهَرَتِ القَطِيعَةُ وَالتَّجَافِي

٥ دَعَا النَّاسَ النَّبِيُّ إِلَى رَشَادٍ فَلَمْ يَرَ فِيهِ مِنَّا مِنْ خِلَافِ (٣)

٦ أَجَبْنَاهُ إِلَى مَا شَاءَ مِنَّا فَآوَانَا إِلَى حُسْنِ ائْتِلَافِ (٤)

---

(١) شَاقَهُ : هاجَ شَوْقَه . والمَلَا : الصَّحراء . والدِّمَنُ : جمع الدِّمنة ، وهي آثار الدّار . والعوافي : جمع العافية ، وهي التي زالَتْ وامَّحَتْ . وعَفَا المَطَرُ الدّيارَ : مَحَاها ودَرَسَها . والسَّوافي : جمع السّافية ، وهي الرّيح التي تَسفو التّرابَ ، أي : تَذْرُوه وتَحمِلُه .

(٢) هَفَا قلبُه : حنّ واشتاق . وطُرّاً : جَمعاً .

(٣) قوله : « لم يَرَ فيه مِنّا مِن خلاف » أي : لم يَرَ مِنّا خِلافاً . و« مِن » حرف جرّ زائد .

(٤) آوانا : ألْجَأَنا ، وأرجَعَنا . والائتلاف : الاجتماع والتّوافُق .

٧ إِلَى تَوْحِيدِ خَلَّاقِ الْبَرَايَا وَكُفْرٍ بِالْحِجَارَةِ وَاللِّخَافِ[1]

٨ عَلَى خَمْسِ الصَّلَاةِ وَصَوْمِ شَهْرٍ

وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ بِلَا اقْتِفَافِ[2]

٩ وَإِدْنَاءِ الْيَتِيمِ بِحُسْنِ رِفْقٍ وَبِرٍّ بِالْقَرَابَةِ وَالْقِفَافِ[3]

١٠ وَفِي هَذَا الْفَعَالِ تُقًى وَبِرٌّ وَإِكْمَالُ الْمُرُوءَةِ وَالْعَفَافِ[4]

١١ وَأَدْبَرَ عَنْهُ أَقْوَامٌ كَثِيرٌ نَفَاهُمْ عَنْ تُقَى الرَّحْمَنِ نَافِ[5]

---

(١) في الأصل: «... والنِّحاف» تحريف.
والبَرَايا: جمع البَرِيَّة، وهي الخَلْقُ. واللِّخاف: جمع اللَّخْفَة، وهي حَجَرَة أبيض عريض رقيق.

(٢) بلا اقْتِفاف: بلا تَقَبُّض ولا بُخْل؛ مأخوذ من قولهم: قَفَّ الشيءُ إذا تَقَبَّضَ.

(٣) القِفاف: جمع القُفَّة، وهو الرَّجُلُ الكبيرُ القصيرُ القليل اللَّحْم، وذلك تشبيهًا له بالقُفَّة من الخُوص.

(٤) الفَعَال: العَمَلُ الحَميد.

(٥) نَفاهُ: نَحَّاهُ وأَبْعَدَهُ.

١٢ وَقَالُوا: الْحَرْبُ، قُلْنَا: الْحَرْبُ أَدْنَى

لِإِبْرَاءِ النُّفُوسِ مِنَ اقْتِرَافِ (١)

١٣ صُبَاحِيَّاتُنَا كَنُجُومِ لَيْلٍ مُحَدَّدَةٌ كَأَطْرَافِ الأَشَافِي (٢)

١٤ وَسَاقَيْنَاهُمُ مَوْتاً ذُعَافاً فَلَمْ يَنْجُوا مِنَ الْمَوْتِ الذُّعَافِ (٣)

١٥ وَرَامُوا النَّصْفَ مِنَّا فَانْتَصَفْنَا

مِنَ الأَعْدَاءِ أَبْلَغَ مَا انْتِصَافِ (٤)

١٦ وَأَعْتَبْنَاهُمُ إِذْ أَعْتَبُونَا بِبِيضِ الْهِنْدِ وَالسُّمْرِ الْقِضَافِ (٥)

---

(١) الاقتراف: الاكتساب، يُقال: اقترف ذنباً إذا اكتسبه.

(٢) في الأصل: «... مخدّرة كأطراف الأسافي» تحريف وتصحيف.

والصُّباحيّات: الأسنّة العريضة. والأشافي: جَمْعُ الإِشْفَى، وهو المِثْقَبُ تُخْرَزُ بِهِ المَزَاوِدُ والقِرَبُ ونحوها.

(٣) الموت الذُّعاف: السّريع.

(٤) النَّصف: الإنصاف وإعطاء الحقّ، وقد انْتَصَفَ إذا أَخَذَ حَقَّهُ كاملاً. و «ما» في قوله «أبلغ ما انتصاف» زائدة.

(٥) أَعْتَبَهُ: أرضاه ورَجَعَ إلى ما يَسُرُّه، وهذا محمول على ضدّ المعنى، والعَرَبُ تقول: أَعْتَبَكَ بِخِلافِ رِضَاكَ، ومنه قول بشر بن أبي خازم:

غَضِبَتْ تَمِيمٌ أَنْ تُقَتَّلَ عَامِرٌ يَوْمَ النِّسَارِ، فَأُعْتِبُوا بِالصَّيْلَمِ

⟸

١٧ رِمَاحٌ مِنْ رُدَيْنَةَ مَا اسْتُجِيبَتْ مُقَامَاتُ الْمُتُونِ عَلَى الثِّقَافِ[1]

١٨ وَخَيْرَاتُ الْقِسِيِّ تَطِيرُ عَنَّا رِشَاقَ الْمُقْعَدِيَّاتِ الْخِفَافِ[2]

١٩ إِذَا ازْدَلَفُوا لَنَا يَوْمًا دَلَفْنَا إِلَى هَامَاتِهِمْ أَيَّ ازْدِلَافِ[3]

٢٠ فَأَوْدَعْنَا رُؤُوسَهُمُ ذُكُورًا نَقُدُّ بِهَا إِلَى جُحَفِ الشِّغَافِ[4]

⇐ أي أعتبناهم بالسّيف، يعني أَرْضَيْناهم بالقَتْل؛ ويوم النِّسار من حروب العرب في الجاهلية. والسُّمْر: الرِّماح. والقِضاف: المَمْشُوقة الدَّقيقة.

(١) رُدَيْنة: امرأةٌ كانت تُقَوِّم الرِّماح. والثِّقاف: المُضارَبة بالسيوف، وضَرْبُ الرَّأسِ بالرُّمح أو بالعصا. ومُقامات المُتُون: هي السيوف. ولم أَتبيّن معنى البيت.

(٢) في الأصل: «... وساق المقعريّات ...» تحريف. والقِسِيّ: جمع القَوْسِ التي تُرْمَى عنها السِّهام. والمُقْعَدِيّات: السِّهام المنسوبة إلى مُقْعَد، وهو رَجُل كان يَرِيش السِّهام، أي يضع لها ريشاً.

(٣) ازدَلَفوا: دَنَوْا وتقدَّموا. ودَلَفْنا إليهم: أَقْبَلْنا عليهم.

(٤) الذُّكور: السّيوف. ونَقُدُّ: نَشُقّ. والجُحَف: الصّدور، واحدُها جُحَفَة. والشِّغاف: غِلافُ القَلْب.

٢١ أَصَبْنَا ضِعْفَ مَا كَانُوا أَصَابُوا وَلَيْسَ عَلَى السَّوَاءِ وَلَا التَّكَافِي

٢٢ فَآبَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى جِنَانٍ يُسَقَّوْنَ الْعُضَارِسَ بِالسُّلَافِ (١)

٢٣ وَرَاحَ الْمُشْرِكُونَ إِلَى شَرَابٍ حَمِيمٍ شِيبَ بِالسُّمِّ الْمُذَافِ (٢)

٢٤ وَأُبْنَا غَانِمِينَ بِذَا وَهَذَا حَوَالَى خَيْرِ مُنْتَعِلٍ وَحَافِ (٣)

---

(١) آبَ : رَجَعَ . والعُضارِسُ : الماءُ البارِدُ العَذْبُ ، والبَرَدُ ، والثَّلْجِ . و السُّلافُ : أَفْضَلُ الخَمْرِ وَأَخْلَصُهَا .

(٢) في الأصل : « ... الحزاف » تحريف.

والحميم : الماءُ الحارّ . و شِيبَ : خُلِطَ . و المُذَافُ : المَخْلُوطُ ، تقول : دُفْتُ الشَّيْءَ و دُفْتُه إذا خَلَطْتَه .

(٣) أُبْنَا : رَجَعْنا . وقوله : « غانِمِينَ بِذا وهذا » يعني غانِمينَ بالنَّصْرِ و بالشَّهادة ، فمِنَّا مُنْتَصِرون و مِنَّا شُهَدَاء . و « خَيْرُ مُنْتَعِلٍ و حَافٍ » : يعني النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم.

وَقَالَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ :

[مِنْ مَجْزُوءِ الوَافِرِ]

١ صَحَا مِنْ سُكْرِهِ وَسَلَا وَفَارَقَ ذَاكَ وَانْقَفَلَا (١)

٢ وَشَدَّ مَطِيَّةَ ٱلتَّقْوَى بِرَحْلِ ٱلْحَزْمِ وَٱرْتَحَلَا (٢)

٣ وَجَانَبَ مُوبِقَاتِ الْغَيْـ ـيِ لَمَّا شَابَ وَٱكْتَهَلَا (٣)

٤ وَكَانَ الْعَذْلُ يُكْرِثُهُ وَقَدْ يُسْقَى بِهِ الْعَسَلَا (٤)

٥ وَذَاكَ لَطِيفُ صُنْعِ ٱللَّـ ـهِ جَلَّ إِلٰهُنَا وَعَلَا

---

(١) انقفل : ارتجع ؛ تقول : قَفَلْتُهُ فانْقَفَلَ إذا رَجَعْتَهُ فارْتَجَعَ

(٢) المطيّة : الدّابّة الّتي تُرْكَب ؛ و معنى البيت محمول على الاستعارة .

(٣) المُوبِقات : المُهْلِكات ؛ و وَبَقَ يَوْبَقُ : هَلَكَ .

(٤) أَكْرَثَهُ الأَمْرُ : اشتدّ عليه و شَقَّ ؛ وكذلك كَرَثَهُ .
والعَذْلُ : اللَّوْم ؛ و نحوَ مِن الشّطر الثّاني قولُ ابنِ الفارض

في مطلع قصيدة :
أَدِرْ ذِكْرَ مَنْ أَهْوَى ولَوْ بِمَلَامِ فَإِنَّ أَحاديثَ الحَبيبِ مُدَامي
والمُدام : الخَمْرُ .

٦ وَمَا قَالَ النَّبِيُّ لَهُ ... سَيُجْزَى الْمَرْءُ مَا عَمِلَا

٧ وَلَيْسَ اللهُ تَارِكَ أَنْ ... يُجَازِيَ الْخَلْقَ مَا فَعَلَا

٨ فَيَجْزِي مُحْسِناً حُسْنَى ... وَيَجْزِي الزَّلَّةَ الزَّلَلَا[1]

٩ وَلَمَّا أَنْ رَأَى اللهُ الْـ ... ـبَرِيَّةَ أَكْثَرُوا الْخَطَلَا[2]

١٠ وَحَادُوا عَنْ سَبِيلِ الرُّشْـ ... ـدِ أَوْضَحَ فِيهِمُ السُّبُلَا

١١ وَخَتَّمَ أَحْمَدَ الْمُخْتَا ... رَ أَكْرَمَ خَلْقِهِ الرُّسُلَا[3]

---

(١) الزَّلَّة: الخطيئة، وكذلك الزَّلَل، وهذا كقوله تعالى:

﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾.

(٢) البَرِيَّةُ: الخَلْقُ. والخَطَلُ: المَنْطِقُ الفاسِدُ.

(٣) في الأصل: « وختم بأحمد ... » بزيادة الباء، وبها يختلّ الوزن.

وخَتَّمَهُ الرُّسُلَ: أي جعَلَهُ خاتِمَهم، بمعنى آخرهم.

١٢ وَآتَاهُ كِتَاباً ضَمْ...مَ فِيهِ سَبْعَهُ الطُّوَلَا (١)

١٣ فَبَشَّرهم وَأَنْذَرَهُمْ وَأَكْثَرَ فِيهِمُ الْجَدَلَا

١٤ وَأَعْلَمَهُمْ بِأَنْ كَانُوا جَمِيعاً مَعْشَراً ضُلَّلَا

١٥ عُكُوفَهُمُ عَلَى الأَصْنا... مِ لَمْ يَرْضَوْا بِهَا بَدَلَا (٢)

١٦ وَلَا عَدَلُوا عَنِ الدُّنْيَا إِلَى الْعَلْيَا كَمَنْ عَدَلَا

١٧ وَلَا وَصَلُوا مِنَ التَّقْوَى إِلَى حَظٍّ كَمَنْ وَصَلَا

١٨ فَمَا إِنْ زَالَ يَدْعُوهُمْ وَيُعْمِلُ فِيهِمُ الْحِيَلَا (٣)

---

(١) الطُّوَل : جمع الطُّولَى ، وهي مؤنث الأطْوَل ، والسَّبْعُ الطُّوَل من القرآن : سورة البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، فهذه ستُّ سُوَرٍ متواليات ، واختلفوا في السابعة ، فمنهم مَنْ قال : السابعة هي الأنفال وبَراءَة وعدَّهما سورةً واحدةً ، ومنهم مَن قال : السابعة هي سورة يونس ، وفي الحديث : « أُوتِيتُ السَّبْعَ الطُّوَالَ » .

(٢) عَكَفَ على الشيء : أقبل عليه ولم ينصرف عنه .

(٣) قوله : « فما إنْ زال .. » أي : فما زالَ ، و « إنْ » زائدة .

١٩ فَقَالُوا : الحَرْبُ أَيْسَرُ مِنْ ... وِفَاقٍ قَصَّرَ الأَمَلا [1]

٢٠ فَشَنَّ عَلَيْهِمُ شَنعاً ... بِنَفْيِ جَمِيعِهَا الكَسَلا [2]

٢١ فَلَمْ تُبْصِرْ سَوَاءَ الخَيْـ ... ـلِ فِيهَا تَحْمِلُ الأَسَلا [3]

٢٢ وَأَبْيَضَ فِي يَدَيْ رَجُلٍ ... يُعَالِجُ تَحْتَهُ رَجُلا [4]

٢٣ وَلَمْ تُبْصِرْ سِوَى بَطَلٍ ... يُنَازِعُ دَارِعاً بَطَلا [5]

٢٤ فَمَا إِنْ زَالَ بِالإِسْلا ... مِ حَتَّى تَمَّ أَوْ كَمُلا

٢٥ فَأَصْبَحَ مَنْ مَضَى لِلْمُسْـ ... ـلِمِينَ مُبَادِراً عَجِلا [6]

---

(١) في الأصل : " .. من وفاق .. " تحريف لا يستقيم به المعنى .
وافَقَهُ وِفاقاً : اجتمعا على أمرٍ واحدٍ .

(٢) هكذا ورد البيت في الأصل ، ولعلّ فيه تحريفاً صوابُه :
فَشَنَّ عَلَيْهِمُ شَيَعًا ... نَفَى بِجَمِيعِهَا الكَسَلا
وشنّ الغارةَ على الأعداء : أغار عليهم من كلّ ناحية . والشِّيَع : الجماعات .

(٣) سَوَاء : بمعنى (سِوَى) . والأَسَلُ : الرِّماح .

(٤) الأبيض : السيف . وعالَجَهُ : غالَبَهُ .

(٥) الدّارِع : لابِسُ الدِّرْع .

(٦) المُبَادِرُ : السّابِقُ . والبيتُ متعلّقٌ بالبيت التالي .

٢٦ ثَوَاباً فِي جِنَانِ الخُـلْـدِ يُكْسَى الحَلْيَ وَالحُـلَلا[1]

٢٧ سَنِيَّ الذِّكْرِ فِي الدُّنْيَا بِهِ قَدْ نَضْرِبُ المَثَلا[2]

٢٨ وَلَوْ قِنٌّ مِنَ العُبْدَا ... نِ يَرْعَى دَهْرَهُ الثُّلَلا[3]

٢٩ وَمَنْ بِاللَّاتِ وَالعُزَّى تَمَسَّكَ مُعْصِماً جَذِلا[4]

٣٠ إِلَى نَارٍ مُسَعَّرَةٍ يُعَالِجُ غُلَّهَا القَمِلا[5]

٣١ وَلَوْ مِمَّنْ يَقُودُ لَهُمْ جُنُودَ الغَزْوِ مُحْتَفِلا

٣٢ شَرَابُهُمُ إِذَا ظَمِئُوا حَمِيمٌ يُورِثُ الطَّحَلا[6]

---

(١) الحَلْيُ: ما يُتَزَيَّنُ به. والحُلَل: جمع الحُلَّةِ، وهي الثَّوب الجديد الجيِّد.

(٢) سَنِيُّ الذِّكْر: رَفيعُه.

(٣) القِنُّ: العَبْد الذي كان أبوه مملوكاً لِمَوَاليهِ. والعُبْدان: جمع العبد. والثُّلَلُ: جمع الثَّلَّةِ، وهي جماعةُ الغنم.

(٤) المُعْصِم: المُتَمَسِّك، وأَعْصَمَ بالشَّيْءِ: استَمْسَكَ. والجَذِلُ: الفَرِحُ.

(٥) سَعَّرَ النَّارَ: أَوْقَدَها إيقاداً شديداً. والغُلُّ: طَوْقٌ مِن حديدٍ أو جِلْد يُجْعَل في عنق المجرم أو الأسير أو في يده، والغُلُّ القَمِلُ: أصله أنهم كانوا يَغُلُّونَ الأسيرَ وعَلَيْه الشَّعَرُ فَيَقْمَلُ.

(٦) الحميم: الماء الحارّ. والطَّحَلُ: أَنْ يَعْظُمَ الطِّحالُ.

٣٣ وَلَوْ طَحِلُوا إِذَا طَحِلُوا لَكَانَ بَلاَؤُهُمْ جَلَلاَ (١)

٣٤ وَلَكِنْ لاَ شِفَاءَ لَهُمْ وَلَوْ قَدْ أَظْهَرُوا الْبَلَلاَ (٢)

٣٥ وَوُفِّي الْمُسْلِمُونَ بِمَا نَبِيُّهُمْ لَهُمْ كَفِلاَ (٣)

٣٦ وَكَمْ مِنْ مُشْرِكٍ فِي النَّا رِ يُغْشَى الْغُلَّ وَالْكَبِلاَ (٤)

٣٧ وَكَمْ مِنْ مَعْشَرٍ شَدُّوا إِلَيْهِ مَطِيَّهُمْ ذُلُلاَ (٥)

---

(١) الجَلَلُ ، هنا : الهَيِّن .

(٢) البَلَلُ : البُرْءُ والصِّحَّة .

(٣) قوله : « وُفِّيْ » بسكون الياء للضرورة ، والأصْلُ بناؤه على الفتح . وكَفِلَ الشَّيْءَ : ضَمِنَه .

(٤) الكَبْلُ : القَيْدُ الضَّخْمُ ؛ وحرّك الباء للضرورة . و « يُغْشَى الغُلَّ والكَبِلا » أي يُشَدَّدُ عليه بهما ؛ والغُلّ : طَوْق مِن حديد أو جِلْد يُجْعَل في عنق المجرم أو الأسير أو في يَدِه .

(٥) المَطِيّ : جَمْعُ المَطِيَّة ، وهي الدَّابَّة التي تُرْكَب . والذُّلُلُ : جمع الذَّلول ، وهي المنقادة .

٣٨ فَأَظْفَرَ كُلَّ ذِي أَمَلٍ يُسَرُّ بِهِ بِمَا أَمَلَا

٣٩ فَكَمْ يَحْظَى بِغَانِيَةٍ وَكَمْ يَسْتَخْوِلُ الْخَوَلَا[1]

٤٠ وَقَوْمٌ آخَرُونَ غَوَوْا لَقُوا مِنْ غَيِّهِمْ نَكَلَا[2]

٤١ فَيَنْعَمُ ذَا بِمَحْصُولٍ وَيَكْرَهُ ذَاكَ مَا حَصَلَا

٤٢ كَذَاكَ اللهُ يَحْمِلُ كُلَّ عَبْدٍ مِثْلَ مَا حَمَلَا

---

(١) الغَانِيَة: المرأة الغنيّة بحُسْنِها وجمالها عن الزّينة. واسْتَخْوَلَ الخَوَلَ: اتَّخَذَ الخَوَلَ، وهم عَطِيَّةُ الله مِن النِّعَمِ والعبيدِ والإماءِ وغيرِهم.

(٢) النَّكَلُ: النّازِلَةُ تَنْزِلُ بالمَرْءِ.

[٤٧]

وَقَالَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ :

[مِنَ الوَافِرِ]

١	تَوَلَّى الْجُودُ وَٱنْقَرَضَ الْكِرَامُ	وَأَضْحَى الْمَجْدُ لَيْسَ لَهُ سَنَامُ [1]
٢	فَلَيْسَ يُلَامُ إِمَّا قَالَ خَلْقٌ :	عَلَى ٱلدُّنْيَا وَسَاكِنِهَا ٱلسَّلَامُ
٣	فَقَدْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا	سَقَى جَدَثاً تَضَمَّنَهُ الْغَمَامُ [2]
٤	وَأَوْحَشَتِ الْمَعَالِمُ وَٱقْشَعَرَّتْ	لِفَقْدَتِهِ وَأَلْبَسَهَا قَتَامُ [3]
٥	بَكَاهُ ٱلدِّينُ وَٱلدُّنْيَا جَمِيعاً	وَبَكَّى فَقْدَهُ الْبَلَدُ الْحَرَامُ
٦	بَكَاهُ كُلُّ ذِي عَيْنٍ إِلَى أَنْ	بَكَاهُ فِي قَرَامِصِهِ الْحَمَامُ [4]
٧	مُنِينَا مِنْ فَجِيعَتِهِ بِأَمْرٍ	يَشِيبُ لَهُ الْغُلَامَةُ وَالْغُلَامُ [5]

---

(١) سَنَامُ المَجْدِ : أَعلاهُ ، كما أنّ سَنَامَ الجَمَلِ أعلاه ، على التّشبيه .

(٢) المطايا : جمع المطيّة ، وهي الدّابّة التي تُرْكَب . والجَدَثُ : القَبْرُ .

(٣) المَعالِمُ : مَواضِعُ العَلاماتِ في الأرض . والقَتَام : الغُبار الأسود .

(٤) القَرَامِصُ : جَمْعُ القِرْمِص ، وهو العُشّ الّذي يبيض فيه الحمام .

(٥) مُنِيَ بالأمْرِ : ابْتُلِيَ به .

٨ أَتَانَا وَالْأَنَامُ عَلَى ضَلَالٍ فَجُدَّ إِلَى هُدَاهُ بِهِ الْأَنَامُ[١]

٩ وَدِينُ اللهِ مَعْزُوزٌ أَثَامًا فَعَزَّ الدِّينُ وَاجْتُنِبَ الْأَثَامُ[٢]

١٠ وَكَانَ الدِّينُ مُنْجَزِمًا عُرَاهُ فَأَضْحَى الْحَقُّ لَيْسَ لَهُ انْجِزَامُ[٣]

١١ وَسُبْلُ اللهِ مُلْبَسَةٌ ظَلَامًا فَأَسْفَرَ بِالنَّبِيِّ لَهُ الظَّلَامُ[٤]

١٢ فَشَدَّ لَنَا مِنَ الْإِسْلَامِ رُكْنًا وَثِيقًا لَا يَكُونُ لَهُ اهْتِضَامُ[٥]

١٣ وَسَنَّ لَنَا مِنَ الْإِسْلَامِ نَهْجًا صَلَاةَ الْخَمْسِ يَتْبَعُهَا الصِّيَامُ[٦]

---

(١) في الأصل: «.. وَهُدَى إلى هداه..» تحريف يختلّ به الوزن، وقدّرت الصواب تقديراً.

(٢) في الأصل: «.. معزوز؟ أثاماً..» وَهَمٌ مِنَ النّاسخ.
ومعزوز: مغلوب. و«أَثاماً» منصوب على أنّه تمييز. وعَزَّ: غَلَبَ.

(٣) جَزَمَ الشَّيْءَ: قطعه.

(٤) السُّبُل: الطُّرُق، مُفْرَدُها سبيلٌ؛ وسكّن الباءَ في «سُبْل» للضرورة. ومُلْبَسَةٌ ظلاماً: مُغَطّاةٌ بالظَّلام. وأَسْفَرَ: وَضَحَ وانْكَشَفَ.

(٥) الرُّكْن: الجانب الّذي يَسْتَنِدُ إليه الشَّيْءُ ويقومُ بِهِ.
واهْتَضَمَ الشَّيْءَ وَهَضَمَه: كَسَرَه.

(٦) النَّهْج: الطّريق المستقيم الواضح.

١٤ وَكَلَّفَ مَنْ أَطَاقَ الحَجَّ قُرْبًا   فَزَادَ لَنَا عَلَى الحَجَرِ الزِّحَامُ

١٥ وَقَالَ بِأَنَّهُ يَأْتِي شَفِيعًا   لِمَنْ قَدْ كَانَ قَبَّلَهُ اسْتِلَامُ[1]

١٦ فَمَا زَالَ النَّبِيُّ بِنَا مُقِيمًا   فَطَابَ لَنَا لِعِشْرَتِهِ المُقَامُ

١٧ فَبَصَّرَنَا وَأَسْمَعَنَا وَكُنَّا   قُبَيْلُ كَأَنَّنَا الإِبِلُ الهِيَامُ[2]

١٨ نَرَى أَنَّا فَضَلْنَا النَّاسَ جِدًّا   وَعُزَّ بِذَلِكَ الهَمَجُ الطَّغَامُ[3]

١٩ فَسَاهَمَنَا الزَّمَانُ عَلَيْهِ كُرْهًا   فَفَازَتْ لِلزَّمَانِ بِهِ السِّهَامُ[4]

---

(١) في الأصل: « وقال فإنَّهُ باقي شفيعاً ... قبل به استلام» تحريف.

(٢) الهِيامُ: الذاهبةُ على وَجهِها لِتَرْعى ؛ جَمْعُ هائِمٍ ، مثل نائم ونِيام وصائم وصِيام.

(٣) في الأصل: «... ونحن بذلك ...» تحريف.

وقوله: «جِدّاً» منصوب على التمييز ؛ والجِدّ ، بكسر الجيم: الاجتهاد؛ والجَدّ ، بفتح الجيم: الحظّ. وعُزَّ: غُلِبَ. والهَمَجُ: الرَّعاعُ مِن النّاسِ لانتظامِ لهم. والطَّغام: أرذالُ الناس وأوغادُهم.

(٤) ساهَمَنا: قارَعَنا (مِنَ القُرْعَةِ) ، مأخوذٌ مِنَ السِّهامِ التي يُضْرَبُ بِهَا في المَيْسِرِ ، ثُمَّ كَثُرَ ذلكَ حتى سُمِّيَ كلُّ نصيبٍ سَهْماً.

٥) وَحُمَّ لَهُ عَنِ الدُّنْيَا انْصِرَافٌ ... وَكُلٌّ سَوْفَ يَصْرِفُهُ الحِمَامُ [1]

٦) وَمَا مِنْ مُمْهَلٍ فِي الأَرْضِ إِلَّا ... سَيَفْجَأُ مُهْلَهُ حَتْفٌ زُؤَامُ [2]

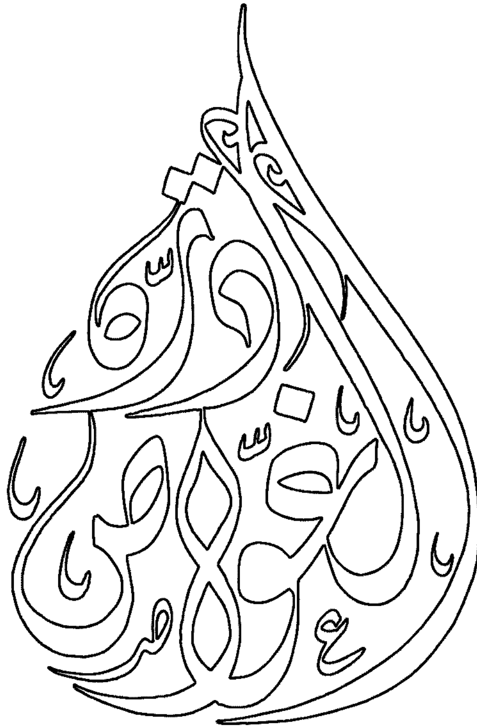
وَهَذَا آخِرُ مَا وُجِدَ مِنْ شِعْرِ الإِمَامِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ وَأَرْضَاهُ آمِينَ [3]

---

(١) في الأصل: «.. على الدّنيا ..» تحريف؛ لأنّ الفعل (انصرف) يتعدّى بحرف الجرّ (عن).
وحُمَّ: قُدِّرَ وقُضِيَ. والحِمام: قضاءُ الموتِ وقَدَرُه.

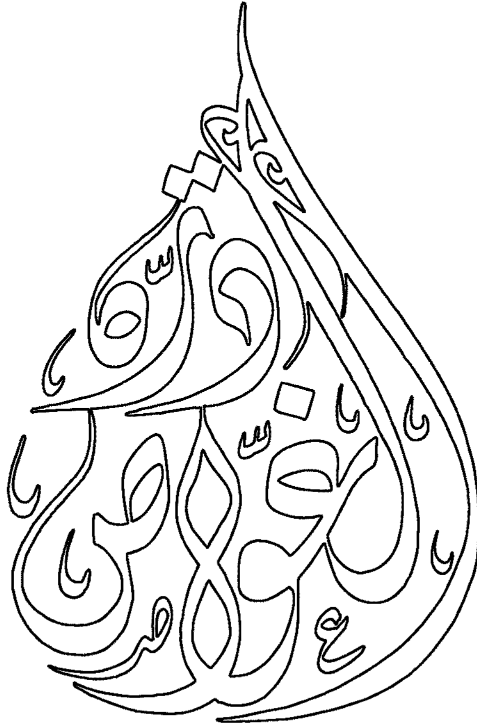
(٢) المُمْهَل: المُؤَخَّرُ والمُنْظَر. والحَتْفُ: الهَلاكُ والمَوْتُ. والزُّؤام: العاجِل.

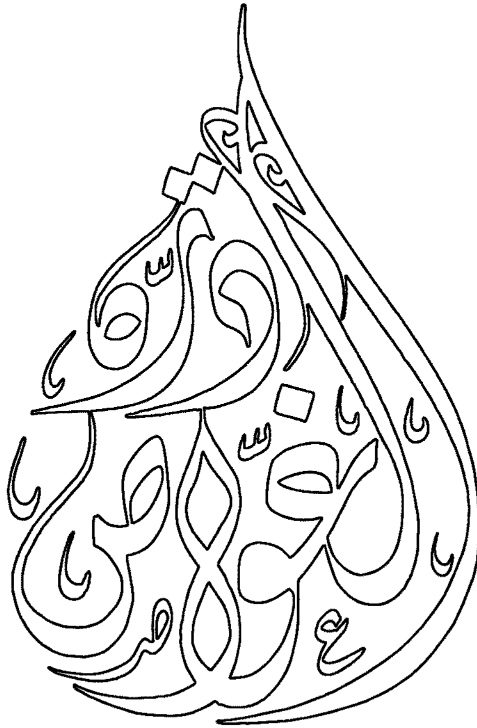
(٣) وقد استدركتُ على ما وَرَدَ في هذا الأصل أبياتاً مِن مصادرَ مختلفة، وهوَ ما يأتي في الصفحات التّالية.



المُستَدرَك

على ما وَرَدَ في الأصْل المخطوط





في دَلَائِلِ النُّبُوَّة (٢: ٤٨٠)[١]:

كانَ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنه مَعَ رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم في الغارِ، فأصابَ يدَه حَجَرٌ فقالَ:

[من الرَّجَز]

١ إِنْ أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيتِ

٢ وَفِي سَبِيلِ اللهِ مَا لَقِيتِ

---

(١) ونُسِبَ البيتان لأبي بكرٍ - رضي الله عنه - أيضاً في البداية والنهاية ٣: ١٧٨، والرياض النضرة ١: ١٠٨، وشرح المواهب اللدنية ١: ٣٣٦، وقال صاحب شرح المواهب: «وذكر الواقدي وابن هشام أنّ ذا البيتَ للوليد ابن الوليد بن المغيرة الصحابي لمّا رجع من صلح الحديبية إلى المدينة، وعثر بحرّتها فانقطعت إصبعه. وذكر ابن أبي الدنيا أنّ جعفراً [ابن أبي طالب رضي الله عنه] لمّا قُتِلَ بمُؤتَةَ دعا الناسُ بعبد الله بن رَواحةَ، فأقبَلَ فأُصيبَتْ إصبَعُهُ فارتَجَزَ يقول:

هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيتِ وَفِي سَبِيلِ اللهِ مَا لَقِيتِ

يَا نَفْسُ إِلَّا تُقْتَلِي تَمُوتِي هَذا حِيَاضُ المَوْتِ قَدْ صَلِيتِ

وَمَا تَمَنَّيْهِ فَقَدْ لَقِيتِ إِنْ تَفْعَلِي فِعْلَهُمَا هُدِيتِ

[يعني: إن تفعلي فِعْلَ زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب، وكانا قد استُشهِدا قَبْلَه]

وروى الشيخان عن جندب [بن سفيان]: بينما نحن مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إذ أصابه حَجَرٌ فَدَمِيَتْ إِصْبَعُه، فقال: هل أنتِ ... البيت.

والذي يَظْهَرُ أنّه مِن إنشاء الصدّيق، وأنّ كلّاً مِن المصطفى والوليد ⟸

⟸ تمثّل به ، والمُمْتَنِعُ على النبيّ عليه السّلام إنشاءُ الشِّعْرِ لا إنْشادُه ، وضَمَّنَهُ ابنُ رَواحَةَ شِعْرَهُ المَذْكورَ » شرح المواهب اللَّدُنِّيَّة ١ : ٣٣٦-٣٣٧ .

ونُسِبَ البيتان إلى الوَليد بن الوَليد في الطبقات الكبرى ٤ : ١٣٤ ، والسّيرة النّبويّة ٢ : ١٢٠ ، وأنساب الأشراف ١ : ٢١٠ ، وجاء البيتان منسوبين للنبيّ عليه السّلام في صحيح البخاري ٣ : ١٠٣٢ (برقم ٢٦٤٨) وفي صحيح مسلم ٣ : ١٤٢١ (برقم ١٧٩٦) ، ونَضْرَة الإغْريض : ٣٨٠ ، والعِقْد الفَريد ٥ : ٢٨٣ .

في تاريخ ابن الوردي (١ : ١٧٤) :

وقال أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه :[1]

[من الطويل]

١ وَقَدْ زَادَ نَفْسِي وَاطْمَأَنَّتْ وَآمَنَتْ ... بِهِ الْيَوْمَ مَا لَاقَى جَوَادُ ابْنِ مُدْلِجِ[2]

٢ سُرَاقَةَ إِذْ يَبْغِي عَلَيْنَا بِكَيْدِهِ ... عَلَى أَعْوَجِيٍّ كَالْهِرَاوَةِ مُدْمَجِ[3]

٣ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : يَا رَبِّ أَعْنِهِ ... فَمَهْمَا تَشَأْ مِنْ مُفْظِعِ الْأَمْرِ تَفْرُجِ[4]

---

(١) يذكر أمر الهجرة وما جرى مع سُرَاقة بن مالك المُدْلجيّ حين لحق برسول الله صلّى الله عليه وسلّم وبصاحبه الصِّدِّيق ، إذْ ساخَتْ قوائمُ جوادِهِ في الأرض ؛ انظر الحاشية ذات الرقم (١) في الصفحة : ٦٩ .

(٢) ابنُ مُدْلِج : هو سُراقة بن مالك مِنْ بني مُدْلِج ، فنَسَبَهُ إلى جَدِّهِ الأعلى .

(٣) الأعْوَجيّ : المنسوب إلى أعْوَج ، وهُوَ فَرَسٌ نَجِيبٌ تُنْسَبُ إليه الأعْوَجِيَّات . والهِرَاوَة : العَصَا الضَّخْمَة . والمُدْمَج : المُسْتَحْكِمُ الخَلْق .

(٤) في تاريخ ابن الوردي : «.. يا ربِّ أغْنِهِ..» بالغين المعجمة ، وهو تصحيف يأباهُ المعنى . والأمْرُ المُفْظِع : أي العظيم الشديد . وقوله : «يا ربِّ أعْنِهِ» أي : اجْعَلْهُ عانياً عنّا ، أي أسيراً ؛ مأخوذ من قولهم : أعْنَيْتُ فلاناً إذا أسَرْتَه ، وعَنَا هُوَ إذا صار أسيراً .

٤ فَسَاخَتْ بِهِ فِي الْأَرْضِ حَتَّى تَغَيَّبَتْ حَوَافِرُهُ فِي بَطْنِ وَادٍ مُفَجَّجِ[1]

٥ فَأَغْنَاهُ رَبُّ الْعَرْشِ عَنَّا وَرَدَّهُ وَلَوْلَا دِفَاعُ اللّٰهِ لَمْ يَتَعَرَّجِ[2]

---

(١) ساخت الحوافرُ : رَسَبَتْ في الأرض . والمُفَجَّجُ : ذو الفِجاج ، وهيَ الطُّرُقُ الواسعة .

(٢) في تاريخ ابن الوردي : « فأَغْنَاه » بالغين المعجمة ، تصحيف . وأَعْنَاه : أسَرَه . ولم يتعرَّج : لم يَتَحَبَّس .

في النّهاية في غريب الحديث (١: ٣٦٦):

ومن حديث الصِّدِّيق أنّه كان يُوتِرُ من أوّل اللّيل ويقول:

[من الرّجز]

١ وَاحَرَزَا وَأَبْتَغِي النَّوَافِلَا

وَيُرْوَى:

أَحْرَزْتُ نَهْبِي وَأَبْتَغِي النَّوَافِلَا [١]

---

(١) قال ابن الأثير: « يُريد أنّه قضى وِتْرَهُ، وأَمِنَ فَوَاتَهُ، وأَحْرَزَ أَجْرَهُ، فإن استيقظ مِنَ اللّيْلِ تَنَفَّلَ، وإلَّا فقد خَرَجَ مِن عُهْدَةِ الوِتْر. والحَرَزُ، بفتح العين: المُحْرَز، (فَعَلٌ) بمعنى (مُفْعَل)، والألِفُ في (وَاحَرَزَا) منقلبَةٌ عن ياء الإضافة، كقولهم: يا غُلَامَا أَقْبِلْ، في: يا غلامي. والنّوافِل: الزّوائد. وهذا مَثَلٌ للعَرَبِ يُضْرَب لِمَنْ ظَفِرَ بِمَطْلُوبِهِ وأَحْرَزَه ثمّ طَلَبَ الزّيادة » النّهاية في غريب الحديث ١: ٣٦٦.

والرّواية الثّانية: « أَحْرَزْتُ نهبي وأبتغي النّوافلا » في وَزْنها اختلال، ويستقيم الوزن بتسهيل الهمزة في قوله (وأبتغي) فيصير:

أَحْرَزْتُ نَهْبِي وَابْتَغِي النَّوَافِلَا.

في زهر الآداب (١: ٣٤)[1]:

وقال أبو بكر لبلالٍ لمّا قتل أُميّةَ بنَ خلفٍ[2]، وقد كان يسومُه سُوءَ العذاب بمكّةَ، فيخرجه إلى الرّمضاءِ فيُلقي عليه الصّخرةَ العظيمةَ ليفارقَ دينَ الإسلام، فيعصمُه اللهُ من ذلك:

[من الوافر]

١ هنيئاً زادكَ الرّحمنُ خيراً فقد أدركْتَ ثأرَكَ يا بلالُ

٢ فلا نِكساً وُجدْتَ ولا جَبَاناً غداةَ تنوشُكَ الأَسَلُ الطِّوالُ[3]

٣ إذا هابَ الرِّجالُ ثَبتَّ حتّى تُخالِطَ أنتَ ما هابَ الرِّجالُ

٤ على مَضَضِ الكُلومِ بمَشْرَفيٍّ جلا أطرافَ متنَيْهِ الصِّقالُ[4]

---

(١) البيتان الأوّل والثّاني في أنساب الأشراف ١: ١٩٣، والجليس الصّالح الكافي ٢: ٣١٥. والبيت الأوّل في الاستيعاب ١: ١٥٠، والجوهرة ٢: ١٢٢، والسّيرة النبويّة - لدحلان ١: ١٢٢، و ١: ٣٨٥.

(٢) وكان ذلكَ يومَ بَدْرٍ، قَتَلَهُ بلال وجَمْعٌ من الأنصار، انظر سير أعلام النّبلاء ١: ٣٢٧، ومصادره.

(٣) النِّكْس: الضعيف. وتَنُوشُكَ الرِّماح: تتناولكَ؛ يقال: تناوشَ القومُ إذا تناولَ بعضُهم بعضاً بالرِّماح ولم يتدانَوْا كلَّ التّداني. والأَسَل: الرِّماح.

(٤) المَضَضُ: التّألُّم. والكُلوم: الجروح. والمَشْرَفيّ: السيف. والصِّقال: الصَّقْلُ، أي الجَلْوُ؛ يُقال: صَقَلَ السَّيْفَ إذا جَلاهُ.

- ٥ -

فِي كِتَاب أَحَادِيث الشِّعْر (الحديث ذو الرَّقم : ٢٢):

أَخْبَرَنا أَبُوطاهِرٍ السِّلَفِيّ ... ... عنِ ابنِ شِهابٍ : أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ ابنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ عائشةَ زَوْجَ النبيِّ صلّى الله عليهِ وسلَّم كانَتْ تَدْعُو على مَنْ كانَ يَقُولُ هٰذِهِ القَصِيدَةَ :

[من الوافر]

يُحَدِّثُنا الرَّسُولُ بِأَنْ سَنَحْيا وَكَيْفَ حَياةُ أَصْداءٍ وَهامِ

فَتَقُولُ عائِشَةُ : واللهِ ما قالَ أبو بكرٍ بَيْتَ شِعرٍ في جاهليّةٍ وَلا إسلامٍ قَطُّ ، وَمَا ارْتابَ فِي اللهِ مُنْذُ أَسْلَمَ ، ولَقَدْ تَرَكَ هُوَ وَعُثمانُ شُرْبَ الخَمْرِ فِي الجاهِلِيَّةِ ، وَلكِنْ قالَ هٰذِهِ القصيدةَ رَجُلٌ مِن بَني كَلْبِ[1] بْنِ عَوْفٍ ، وكانَ أبو بكرٍ تزوَّجَ امْرَأَةً مِن بَنِي كَلْبٍ[1] يُقالُ لَها : أُمُّ بَكْرٍ ، فلمَّا هاجرَ أبو بكرٍ طلَّقَها فتزوَّجَها ابنُ عمِّها هٰذا الشاعِرُ[2] الَّذِي قالَ هٰذِهِ القَصِيدَةَ رَثَى بِهَا

---

(١) في الأصل : « .. من بني كلاب .. » تحريف ، والصَّواب عن صحيح البخاري ٣ : ١٤٢٧ ، وهم بنو كلب بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبدمناة .

(٢) في الأصل : « .. الكلابيّ .. » تحريف ، والصّواب ما أُثبتّه نقلاً عن صحيح البخاري ٣ : ١٤٢٧ ، لأنّ الشاعر هو ابن شَعوب الليثيّ - نسبةً إلى أُمّه . وكنيته أبو بكر ، واسمه شدّاد بن الأسود بن عبد شمس ⟵

أهل بدر مِمّن قُتِلوا[1] :

١ مَاذَا بِالْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ ... مِنَ الشِّيزَى تُزَيَّنُ بِالسَّنَامِ[2]

٢ تُحَيِّي بِالسَّلَامَةِ أُمُّ بَكْرٍ ... وَهَلْ لِي بَعْدَ قَوْمِي مِنْ سَلَامِ

٣ يُحَدِّثُنَا الرَّسُولُ بِأَنْ سَنَحْيَا ... وَكَيْفَ حَيَاةُ أَصْدَاءٍ وَهَامِ[3]

قَالَتْ عَائِشَةُ : فَنَحَلَهَا النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ[4] مِنْ أَجْلِ الْمَرْأَةِ الَّتِي طَلَّقَهَا أَبُو بَكْرٍ .

⟸ ابن مالكِ بنِ جَعْفَونة بنِ عُوَيْفِ بنِ شِجْعِ بنِ عامرِ بنِ لَيْثِ بنِ بَكرِ بنِ زَيْدِ مَنَاةَ ؛ وقيل في اسمه غير ذلك ، وقالت عائشة رضي الله عنها : « فتزوَّجها ابنُ عمِّها » لأنَّ كلًّا منهما - الشاعر وأمّ بكر - من قبيلة واحدة ، وهم بنو عامر بن ليث بن بكر بن زيد مناة ، ولكن كلُّ واحدٍ من بَطْنٍ ، فالمرأة من بني كلب بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث ، والشاعر من بني شِجْع بن عامر بن ليث . انظر : صحيح البخاري ٣ : ١٤٢٧ (برقم : ٣٧٠٦) ، والسيرة النبوية - لابن هشام ٣ : ٣٠ ، وجمهرة أنساب العرب : ١٨٢ ، وكنى الشعراء (ضمن نوادر المخطوطات) ٢ : ٢٨١ ، ومَن نُسِبَ إلى أُمّه من الشعراء (ضمن نوادر المخطوطات) ١ : ٨٣ ، والسيرة النبوية - لابن كثير ٢ : ٥٣٥ ، والرَّوض الأُنُف ٣ : ١١٨ ، والإصابة ٧ : ٥٢١ .

(١) وردت الأبيات ضمن قصيدة مؤلَّفة من تسعة أبيات في السيرة لابن هشام ٣ : ٣٠ ؛ ووَرَد بعضها في المصادر المذكورة في الحاشية السابقة ، وفي مصادر أُخرى لا حاجةَ بنا إلى استقصائها .

(٢) الشِّيزى : جِفانٌ تُتَّخَذُ مِن شَجرِ الشِّيزى ، وأراد : من أصحاب الشِّيزى الذين يُطْعِمون فيها . والسَّنام : لحمُ ظَهْرِ الجَمَل .

(٣) الأصداء : جمع الصَّدى ، وهو طائرٌ تزعُمُ العرب أنّه يخرج من رأس القتيل فيصيح : اسقوني اسقوني ، فلا يزال كذلك حتى يؤخَذَ بالثأر فيسكُت . والهام : جمع الهامة ، وهي كالصَّدى .

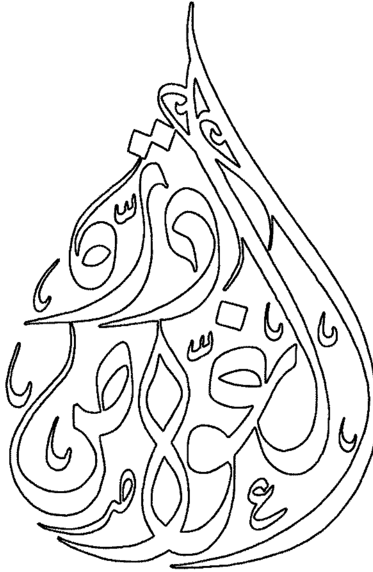
(٤) أي نَسَبُوها إليه وهي ليست له .

في جَمْهَرة أَشْعَارِ العَرَب (١: ٢٢):

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

[مِن الرَّمَل]

١ عَزَّرُوا الأَمْلاكَ فِي دَهْرِهِمُ وَأَطَاعُوا كُلَّ كَذَّابٍ أَثِمْ (١)



(١) قال القُرَشِيّ شارحاً: «عَزَّروا: أي عَظَّموا؛ قال اللهُ تعالى: ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ أي عَظَّموه» جمهرة أشعار العرب ١: ٢٢. والأملاكُ: جمع المَلِكِ. والأَثِمُ: الواقِعُ في الإِثْمِ، وهو الذَّنْبُ الذي يستحقُّ فاعِلُهُ العِقابَ.

في صَحِيحِ البُخَارِيّ (٣: ١٣٧٠)[1]:

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ الحارِثِ قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَحَمَلَ الحَسَنَ وَهُوَ يَقُولُ:

[مِن مجزوء الكامل]

١ بِأَبِي شَبِيهٌ بِالنَّبِيّ لَيْسَ شَبِيهًا بِعَلِيّ[2]

وَعَلِيٌّ يَضْحَكُ.

---

(١) وكرّره البخاريّ أيضاً في ٣: ١٣٠٢، وهو في: فتح الباري ٦: ٥٦٣، ومسند الإمام أحمد ١: ٨، والسّيرة النبويّة لابن كثير ٤: ٥٦٩، ودلائل النبوّة للبيهقي ١: ٣٠٦، وتاريخ الخلفاء: ٩١؛ ونسبه البلاذريّ في أنساب الأشراف ١: ٥٣٩ و ٣: ٦ لسيّدة فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ورضي الله عنها، ونبّه البلاذري في ١: ٥٣٩ على أنّه يُروى لأبي بكر رضي الله عنه

(٢) في أنساب الأشراف ٣: ٦ «وابِأَبِي شِبْهُ النَّبِي»، وفي صحيح البخاري ٣: ١٣٠٢ «... لا شبيه...» وهو بهذه الرّواية ليس شعراً، لأنّه ليس موزوناً؛ وفي أنساب الأشراف: «.. غير شبيهٍ...» وكان الحَسَنُ بن عليّ رضي الله عنهما أَشْبَهَ النَّاسِ بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم؛ انظر صحيح البخاري ٣: ١٣٠٢ و٣: ١٣٧٠ أنساب الأشراف ٣: ٥-٦.

فهرس القوافي

فِهرِسُ المَصَادِر

أحاديث الشعر : للحافظ عبدالغني المقدسي ، بتحقيق: خير الله الشريف ، لمّا يُطْبَع .

الاستيعاب في أسماء الأصحاب (طُبع مع كتاب الإصابة) : لأبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري القرطبي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، دون تاريخ .

إعجاز القرآن : للقاضي أبي بكر الباقلاني ، شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م .

الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء: لسليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي ، تحقيق : مصطفى عبدالواحد ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٣٨٩ هـ/ ١٩٧٠م .

ألقاب الشعراء ومَن يعرف منهم بأُمّه (ضمن نوادر المخطوطات) : لمحمد بن حبيب ، تحقيق عبدالسلام هارون ، شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م .

أنساب الأشراف (الجزء:١) : لأحمد بن يحيى البلاذري ، تحقيق د. محمد حميد الله ، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، بالاشتراك مع دار المعارف بمصر ، ؟ .

البداية والنهاية : لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي ، مكتبة المعارف ومكتبة النصر ، بيروت والرياض ، ١٩٦٦م .

تاريخ الخلفاء : لأبي بكر جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد ، مطبعة الفجالة الجديدة ، القاهرة ، طبعة ٤، ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩م .

تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس : لحسين بن محمد بن الحسن الديار بكري ، مؤسسة شعبان ، بيروت ، دون تاريخ .

تاريخ ابن عساكر : لأبي القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر ، صورة عن نسخة الظاهرية ، دار البشير .

تاريخ ابن عساكر : لابن عساكر أبي القاسم عليّ بن الحسن ، تحقيق : نشاط غزاوي ، مجمع اللغة العربية ، ؟ ، (السيرة النبوية) .

تاريخ ابن الوردي (تتمة المختصر في أخبار البشر) : لعمر بن الوردي ، تحقيق : أحمد رفعت البدراوي ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٨٩/١٩٧٠

الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي : لمعافى بن زكريا النهرواني الجريري ، تحقيق د. محمد مرسي الخولي ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٣ / ١٩٨٣ .

جمهرة أشعار العرب : للقرشي أبي زيد ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار نهضة مصر ، دون تاريخ .

جمهرة أنساب العرب : لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار المعارف ، بمصر ، القاهرة ، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م .

الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة ، لمحمد بن أبي بكر بن عبد الله المشهور بالبُري ، تحقيق : د . محمد ألتونجي ، دار الرفاعي ، الرياض ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م .

دلائل الإعجاز : لعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية و د. فايز الداية ، دار قتيبة ، دمشق ، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م .

دلائل النبوّة : لأبي نعيم الأصفهاني ، تحقيق: محمد روّاس قلعة جي، دار ابن كثير ومكتبة التراث الإسلامي ، دمشق وحلب ، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .

دلائل النبوّة ومعرفة أحوال الشريعة : لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق : د. عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥م.

ديوان الأبيوردي : تحقيق : د. عمر الأسعد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، طبعة ٢ ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

الرّوض الأنف في تفسير السيرة النبويّة لابن هشام : لأبي القاسم بن عبد الله الخثعمي السّهيلي ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، دار الفكر ، بيروت ، دون تاريخ .

الرّياض النّضرة في مناقب العشرة : لأبي جعفر بن أحمد الشهير بالمحبّ الطبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م .

زهر الآداب : للقيرواني ، تحقيق : علي محمّد البجاوي، دار إحياء الكتب العربيّة ، القاهرة ، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م .

السّيرة النبوية : لابن هشام الحِمْيَري عبد الملك بن هشام بن أيوب ، تحقيق، مصطفى السقّا ورفيقيْه ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، دون تاريخ.

السيرة النبويّة : لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ، تحقيق: مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٦م .

السيرة النبويّة : لأحمد بن زيني المشهور بدُحلان، الدار الأهليّة ، بيروت ، ١٩٨٣م.

شرح المواهب اللّدُنّيّة : لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني ، المطبعة الأزهريّة ، القاهرة ، ١٣٢٥هـ .

صحيح البخاري : للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ودار اليمامة ، دمشق وبيروت ، طبعة ٤ ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

صحيح مسلم : للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، دون تاريخ .

صفة الصفوة : للإمام أبي الفرج بن الجوزي ، تحقيق محمود فاخوري ، طبعة ٤ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٨٦م .

طبقات فحول الشعراء : لمحمد بن سلام الجمحي ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٩٧٤م .

العقد الفريد : لأحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي ، تحقيق أحمد أمين ورفاقه ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م .

الكامل في الأدب ، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق : محمد أحمد الدالي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

لسان العرب : لمحمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر ، بيروت ، دون تاريخ .

مجموعة المعاني : لمؤلف مجهول ، تحقيق : عبدالمعين الملوحي ، دار طلاس ، دمشق ، ١٩٨٨م .

معجم البلدان ، لياقوت الحموي ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

معجم الشعراء : لمحمد بن عمران المرزباني ، تحقيق عبدالستار فراج ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦٠م .

منح المدح : لابن سيد الناس ، تحقيق عفت وصال حمزة ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

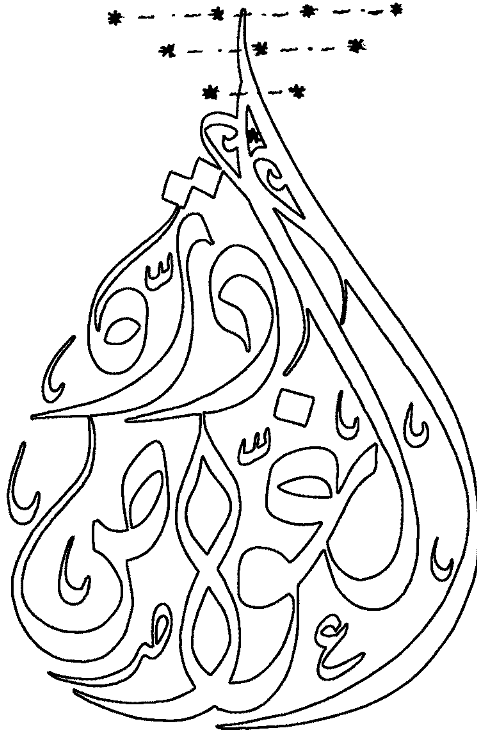
مَن نُسِب إلى أُمّه من الشعراء (ضمن نوادر المخطوطات): لمحمد بن حبيب، تحقيق: عبد السلام هارون، شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م

المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: لأحمد بن محمد الخطيب العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ.

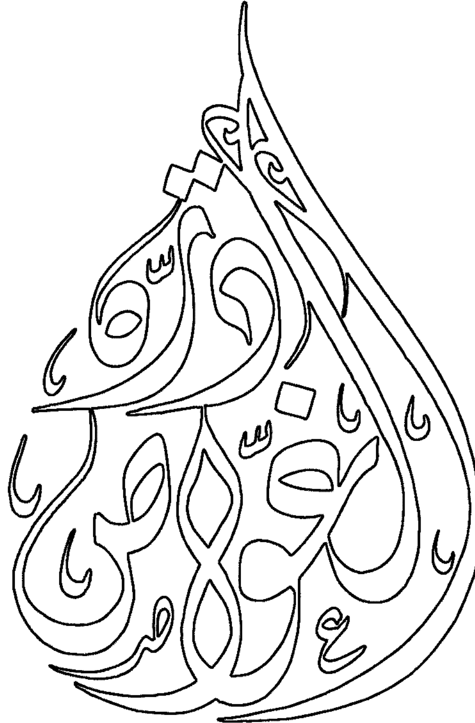
الموطأ: لمالك بن أنس، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

النهاية في غريب الحديث والأثر: للمبارك بن محمد الجزري المشهور بابن الأثير، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وطاهر الزاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ.

--*



المحتوى



الموافقة على الطباعة
اتحاد الكتّاب العرب
إدارة المخطوطات والنشر
تاريخ ١٩٩٢/٦/٢٨
رقم /٢٦٠/

ديوان أبي بكر الصّديق .../حققه وشرحه محمد
شفيق البيطار . ـ دمشق : شراع للدراسات
والنشر والتوزيع، ١٩٩٢م. ـ ١٤٤ص ، ٢٨ سم.

١ـ ٨١١٫٣ ب ي ط د ٢ـ العنوان ٣ـ البيطار
٤ـ أبو بكر الصّديق مكتبة الأسد

ع ـ ١١٤٢ /١٩٩٢/٩